المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية

الزهد في شعر ابن الرّومي

(دراسة موضوعية فنية)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من قسم اللغة العربية بجامعة أم القرى – تخصص الأدب العربي

إعداد الطالب:
راجس بن مبارك الدوسري

الرقم الجامعي:
٤٢٩٨٠٣٤٨

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبدالله بن إبراهيم الزهراني

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
فهرس المحتويات والإهداء والشكر .	٢-٣- ٤
المقدمة .	٥
التمهيد :	١١
المبحث الأول: مكانة الزهد في الإسلام ومفهومه وأهمية توظيفه في الشعر .	١٢
المبحث الثاني: حال الشعر في عصر ابن الرومي وأسباب ظهور الزهد وحالة شعره.	١٧
الفصل الأول : الدراسة الموضوعية :	٢٩
المبحث الأول : ابن الرومي وحضور الزهد في شعره وأسباب زهده .	٣٠
المبحث الثاني : فلسفة الزهد لدى ابن الرومي.	٤٨
المبحث الثالث : مقام الزهد في ديوان ابن الرومي .	٥٢
المبحث الرابع : موضوعات الزهد في ديوانه .	٥٤
الفصل الثاني : الدراسة الفنية :	٧٩
المبحث الأول : تأثر زهديات ابن الرومي بالقرآن والسنة .	٨٠
المبحث الثاني : القصائد الزهدية ذات الموضوع الواحد والأبيات الزهدية المكملة.	٨٣
المبحث الثالث : السمات الفنية والأسلوبية في شعر الزهد لديه .	٨٨
الخاتمة .	١١١
فهرس المصادر والمراجع .	١١٤

إهـــــداء

إلى محبي العلم والمعرفة.

شكر وتقدير

لكل من أسدى إلي

علما ومعرفة وأدبا ومعروفا

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على مـــن أرســـل رحمة للعالمين نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فمن الحقائق الثّابتة أنّ ظواهر الحياة البشرية المادية والفنية في تغيّـــر دائـــم ومستمر، والشّعر ظاهرة فنية عتيقة ولدت منذ مرحلة مبكرة من الحياة البـــشرية، إذ أنّها صورت الوجدان ولغة الشّعور، وهذا الفنّ لا يخرج أيـــضا عـــن كونـــه أحـــد الظّواهر التي خضعت إلى التّجديد والتّغيير على مرّ الزّمن.

و يشكل العصر العباسي مرحلة مهمّة في مسار الشّعر العربي الفنـــي، ففـــي هذا العصر أخذ الشّعر العربي لوناً جديداً، ونكهة جديدة وبدا مذاقاً شـــعرياً متميـــزاً ضمن المناخ الشّعري العربي .

لقد عرف ديوان الشّعر العربي نتيجة تجارب الشّعراء العميقة في الحياة دررا في الحكمة والزهد منثورة في قصائد مديحهم وفخرهم ورثائهم بل وغـــزلهم أيـــضاً ناهيك عن قصائد كاملة في الحكمة أو الزّهد، فقدموا للبشرية تجاربهم شعراً رصيناً. وابن الرّومي واحد من أبناء هذا العصر قد قدم تجربة شعرية ثريّة ومميزة سنحاول في هذه الدّراسة أن نلقي الضّوء على جانب منها أغفله الدّارسون وهو الزّهـــد فـــي ديوانه.

يعتبر الزّهد في الدّنيا والاستعلاء على كثير من شهواتها الجذابة، وإغراءاتها الكثيرة، أحد العوامل التي تقوي الإرادة، وتمنح الثّقة بالّنفس، والأمل بالمستقبل، وقد اعتمدت عليه الأديان جميعا في سعيها إلى تهذيب السّلوك الإنساني، وتربية الــنّفس الإنسانية على القيم الإنسانية العليا من المحبة، والإيثار، والصبر، ونحو ذلك.

من هذا المنطلق يمكن توظيف الدّعوة إلى الزّهد إيجابيا في خدمة المجتمــع المسلم، والنّهوض به، وذلك بطرح قضايا فعالة في نهضة الأمة، مثل تقديم مصلحة الأمة على المصلحة الشّخصية، وإيثار الآخرة على الدنيا، والعمل الدؤوب في خدمة الدّعوة والرّفع من شأنها، والصّبر وتحمل المشاق في سبيل هداية التّائهين، وتقــديم المساعدة للنّاس في أوقات الشدائد، ونحو ذلك، فالزهد السليم هو عمل إيجابي لتربية المجتمع الصالح، وليس انسلاخا من الواقع وهروبا من مواجهته كمــا شــاع عنــد الناس.

وكل هذه المعاني المنبثقة عن الزّهد لو وظّفت في الشعر لكانت أبلغ أثراً في المتلقي من النشء من النثر الخالص وأسهل حفظا وألصق بالّنفس ولذا ستكون هــذه الدّراسة في الاتجاه الزّهدي في شعر ابن الرّومي ترسيخا لهــذا المنحــى وتقــديما للزّهديات من دفتي ديوان ضخم ينوف الألف قصيدة مع تصنيفها ضمن منهج علمي واضح،

تحت عنوان:

(الزهد في شعر ابن الرّومي – دراسة موضوعية فنية –)

أهداف الدّراسة:

تهدف هذه الدّراسة إلى:

١- تسليط الضّوء على هذا الجانب الزهدي في شعر ابن الرومي .

٢- بيان مكانة الزهد في ديوانه و موضوعات الزهد في شعره .

٣- تجلية فلسفة الزهد عند ابن الرومي وعلاقتها بالفكر العربي الإسلامي.

٤- بيان الفنيات التي اعتمدها ابن الرومي في شعره الزّهدي .

منهج الدّراسة:

استخدم البحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي، والذي عرّف بأنه "كل منهج يرتبط بظاهرة معاصرة بقصد وصفها وتفسيرها"، ولا يقتصر هذا المنهج على جمع البيانات، وإنما تبويبها وتفسيرها واستخراج الدلالات والاستنتاجات المرتبطة بالمشكلة محط البحث.

الدّراسات السابّقة:

من المعلوم أن الزّهد في ديوان ابن الرومي لم يدرس في كتاب مستقل وإن كانت ثمة إشارات طفيفة للزهد عنده في دراسات العصر العباسي الأول لذا لا

تستطيع القول بوجود دراسات سابقة في الموضوع ولكن هناك دراســات موازيــة كتلك التي درست الزهد عند أبي العتاهية أو التي اعتنت بالزهد والزهاد فــي الأدب العربي أو استشهدت بشعره في دراسة الزهد من حيث هو كينونة مــستقلة بمعــزل عن البوتقة الحاملة له مثلما يأتي في المصادر والمراجع أما بالنّسبة للشّاعر صاحب الدّيوان فلم أجد دراسة مستقلة عن شعره الزّهدي .

مخطط الرسالة :

وتم تقسيم البحث لمقدمة وتمهيد و فصلين يحتوي كل فصل على عدد من المباحث بناء على ما تقتضيه خطة البحث والمادة العلمية وخاتمة:

أولا – التمهيد : وهو توطئة للدخول في دراسة الاتجاه الزهدي لدى ابن الرومي وذلك من خلال إطلالة على غرض الزهد وأهميته في التراث الشعري والإسلامي وكذلك تسليط الضوء على حال هذا الغرض في عصر ومعاصري ابن الرومي ويشمل المبحثين التاليين :

١- الزهد في الاسلام ومفهومه وأهمية توظيف فكرة الزهد في الأغراض الشعرية .

٢- حال الشعر في عصر ابن الرومي القرن الثالث الهجري وحال شعر الزهد وشعرائه .

ثانيا – الفصل الأول : وهو فصل يبدأ بالتعريف بابن الرومي ومعالم عن حياته وشعره لتكون نافذة للولوج إلى زهدياته من خلاله وذلك بسبر أغوار ذاته الزاهدة وأسباب زهدها وحضور الزهد في ديوانه ورؤيته الزهدية وفلسفته الزاهدة وموضوعات زهده التي تناولها في زهدياته ويشمل المباحث التالية :

١- ابن الرومي وحضور الزهد في شعره وأسباب زهده .

٢- فلسفة الزهد لدى ابن الرومي.

٣- مقام الزهد في ديوان ابن الرومي .

٤- موضوعات الزهد في ديوانه .

ثالثا : الفصل الثاني :

ويتناول طريقة أداء ابن الرومي في شعره الزهدي وسمات هذا الأداء الفنية واللغوية والتصويرية والبلاغية والأسلوبية ودراستها بناء على ضوء ما تم تناوله:

ويحوي المباحث التالية :

١- تأثر زهديات ابن الرومي بالقرآن والسنة .

٢- القصائد الزهدية ذات الموضوع الواحد والأبيات الزهدية المكملة.

٣- السمات الفنية والأسلوبية واللغوية في شعر الزهد لدى ابن الرومي.

رابعا : خاتمة : تحوي أبرز النتائج والتوصيات .

****

وفي الختام لا يسعني في هذه السطور إلا أن ازجي من الشكر أكمله ومن ومن الذكر أجمله ومن العرفان أوفره ومن الامتنان أزخره لأستاذي ومشرفي سعادة الأستاذ الدكتور : عبدالله بن إبراهيم الزهراني، فهو له يد الطولى والقدح المعلى في خروج هذا البحث بصورته البهية رغم ما واجهته من صعوبة في إيجاد مصادر ومراجع لهذا الموضوع فكان يدلني ويرشدني ويهاتفني ويصوبني فله مني الدعاء الوافر بالأجر والمثوبة وسعة الرزق والسعادة والتوفيق في الدارين .

هذا والله الموفق والمسدد لكل خير وصلى الله وسلم على نبينا محمد ...

التمهيد

المبحث الأول : مكانة الزهد ومفهومه في الإسلام:

لم ترد مادة: (زهد) أو مشتقاتها في القرآن الكريم إلا في موضع واحد، وهو ليس من مواضع المدح، بل هو إلى الذم أقرب، وذلك في قصة يوسف عند قوله تعالى: ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾[1]، وقد ذكر هذه المادة الراغب الأصفهاني في مفرداته، وكل ما قاله هو: (الزهيد: الشيء القليل، والزاهد في الشيء: الراغب عنه، والراضي منه بالزهيد: أي القليل، قال تعالى: ﴿ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ أما المفسرون فلم يشيروا إلى عدم عناية القرآن بهذه المادة، وكل ما قالوه هو محاولة تبرير هذا الزهد بيوسف، من ذلك ما قاله القرطبي: (قيل المراد إخوته، وقيل السيارة، وقيل لواردة. وعلى أي تقدير فلم يكن عندهم غبيطا، لا عند الإخوة لأن المقصود زواله عن أبيه لا ماله، لا عند السيارة لقول الإخوة إنه عبد آبق منا، والزهد قلة الرغبة. ولا عند الواردة لأنهم خافوا اشتراك أصحابهم معهم، ورأوا أن القليل من ثمنه في الانفراد أولى) [2].

وقال أبو حيان: (قال ابن قتيبة: البخس: الخسيس الذي يخس به البائع، وقال قتادة: (بخس: ظلم، لأنهم ظلموه في بيعه).[3] وقال الألوسي: (والضمير في وكانوا

---

1) سورة يوسف، الآية (٢٠).

2) الجامع لأحكام القرآن، بعناية هشام سمير البخاري، (١٥٧/٩) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

3) البحر المحيط، (٢٩١/٥) دار إحياء التراث العربي، بيروت.١٤٢٢هـ.

إن كان للإخوة فظاهر، وإن كان للرفقة فمضمر وكانوا بائعين فزهدهم فيه لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به، لا يبالي بما باعه، ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده، فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن، وإن كان لهم وكانوا مبتاعين، بأن اشتروه من بعضهم أو من الإخوة فزهدهم لأنهم اعتقدوا فيه أنه آبق، فخافوا أن يخاطروا بمالهم فيه).[1].

وفي العصر الحديث نجد المستشرق جول لابوم يشير في معجمه: (تفصيل آيات القرآن الكريم)[2] إلى معاني أربع آيات تتضمن فكرة الزهد وليس ثمة واحدة منها تشير إلى لفظه، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾[4]، بينما أغفل الدكتور محمد حسن حمصي في معجمه لمواضيع القرآن الكريم[5] هذه المادة فلم يذكرها.

---

1) روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني،الألوسي، (٢٠٥/١٢) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
2) ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
3) سورة الحج، الآية (٣٤).
4) سورة البقرة، الآية (٢٠٧).
5) نشر دار الرشيد، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦م ، ١٩٩

أما في السنة النبوية فقد وردت مادة الزهد مرات عديدة كما في قوله عليه الصلاة والسلام: " ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس"[1] وقد وردت مادة (زهد) ومشتقاتها في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف عشرين مرة فقط[2]، ولا يعني هذا التقليل من أهمية الزهد، فإن الإمام أحمد جمع كتابا كبيرا سماه :(الزهد)، ونقل فيه مختلف الأخبار عن السلف حول هذه القضية، مما يؤكد أن مفهوم الزهد كان قائما لدى سلف الأمة حقيقة أكثر مما هو لفظ متداول.

مفهوم الزهد في الإسلام :

الزهد الذي حث عليه الدين الحنيف هو أن تكون الدنيا في يد الإنسان لا في قلبه، فيتحكم بها وليس العكس، فينفق ويجود ويعطي، كما قال تعالى : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴿٢١﴾ ﴾[3]، وليس الزهد إعراضا عن الدنيا في كل الحالات، ولا إهدارا لقيمة المال التي هي جزء أساس من مقومات الحياة الاقتصادية للأمة، وهو أيضا ليس انسحابا من المجتمع، وإقبالا على الخلوات والفلوات والزوايا

1) رواه ابن ماجه والحاكم، انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق الألباني، (١٤٣٣/٣). المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م.

2) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، (٣٤٨/٢-٣٤٩)، مادة (زهد) نشر الدكتور أ.ي. ونسنك، دار الدعوة، إسطنبول، ١٩٨٦م.

3) سورة الليل، الآيات (١٧-٢١).

وحبس النفس فيها، فذاك زهد النصارى لا المسلمين، يؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي" [1]، وورد عن سفيان الثوري أنه قال: " ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ والخشن، وأكل الجشب ــ أي الطعام الغليظ ــ إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل "٢، والمقصود بقصر الأمل هنا أن يكون الإنسان واقعيا في سلوكه، وأن ينهض بمسؤولياته الكاملة تجاه الخالق والمخلوقين، فالعمر قصير، والطموحات الكبيرة للإنسان في التوسع والزيادة من حطام الدنيا قد تشغله عن واجباته الأساسية المنوطة به، فيمضي قطار العمر وقد فاته أن ينجز الكثير في الجانب الروحي والحقل الاجتماعي المتمثل في رعاية مصالح العباد.

أهمية توظيف فكرة الزهد في الأغراض الشعرية:

من منطلق المفهوم الإسلامي للزهد يمكن توظيف الدعوة إلى الزهد من خلال الشعر إيجابيا في خدمة المجتمع المسلم، والنهوض به، وذلك بطرح قضايا فعالة في نهضة الأمة، مثل تقديم مصلحة الأمة على المصلحة الشخصية، وإيثار الآخرة على الدنيا، والعمل الدؤوب في خدمة الدعوة والرفع من شأنها، والصبر وتحمل المشاق في سبيل هداية التائهين، وتقديم المساعدة للناس في أوقات الشدائد، ونحو ذلك، فالزهد السليم هو عمل إيجابي لتربية المجتمع الصالح، وليس انسلاخا عن الواقع وهروبا من مواجهته كما شاع عند الناس، فالحياة مليئة بالمغريات والملذات الكثيرة،

---

1) رواه مسلم عن سعد، انظر: مشكاة المصابيح ، التبريزي (١٤٥٣/٣) .

2) المصدر السابق، (١٤٥٢/٣).

وقد يعاني الإنسان في حياته من فقد هذه اللذات بعد وجودها، أو عدم القدرة في الوصول إليها أساسا، مما قد يورث فيه مشاعر الإحباط واليأس التي تدفعه إلى العزلة والإعراض عن الحياة، أو تتطور لتتحول إلى مشاعر الحقد والحسد التي قد تدفعه إلى الجريمة. وبالمقابل فيما لو وفرت الحياة للإنسان ما يتمناه، فقد نراه منغمسا في الملذات، مكبا عليها، لا يستطيع أن يتحرر من رقه لها، مما يسلبه القدرة والإرادة معا.

والتربية السليمة هي التي تمنح الإنسان القدرة على الثبات في المواقف الصعبة التي يتعرض لها في حياته، وتحول بينه وبين اليأس من جهة، وبينه وبين الجريمة والعدوان من جهة أخرى، وأما في حالة الرخاء، فهي تزوده بقدر من الإرادة يحفظه من الاستسلام لشهواته، وفقدانه لإنسانيته.

المبحث الثاني : حالة الشعر في القرن الثالث الهجري (عصر ابن الرومي):

كان القرن الثالث الهجري جامعاً لأشتات الثقافة بفروعها، كل شيء كثير فيه من آداب إلى علوم إلى فنون... عاش في العصر نخبة نابهة من جلة الشعراء كأبي تمام والبحتري ودعبل الخزاعي وابن المعتز وابن الرومي. [١]

وإلى جانب هؤلاء مئات من الذين قالوا الشعر محترفين وغير محترفين، مجيدين وغير مجيدين، حتى كاد كل متعلم أو متأدب شاعراً أو ناظماً في بعض أغراضه فالخلفاء كانوا ينظمون الشعر الغزلي والغنائي، والوزراء يتحلقون ينشدوا الأشعار، [٢] والأمراء يطارحون الشعر غير مداحين أو مكتسبين، وبين هؤلاء وأولئك من ينتمي إلى العرب أو إلى الفرس.

ومما تحسن ملاحظته في ذلك العصر أن القليل من الشعر ما خلا من آثار الحضارة، فمن لم يظهر في شعره المعاني الفلسفية والآراء الطريفة التي سرت إلى المتأدبين من مطارحة علم الكلام، ومذاكرة العلوم المترجمة، ظهرت فيه محسنات اللفظ والمعاني التي كشفها البحث في أشعار المتقدمين.. وقد أدى ذلك إلى المعارضة بين أقوال الفحول واستطلاع أسرار البلاغة واللغة.[٣]

---

1) أعلام في الشعر العباسي ،الساريسي ،عمر بن عبد الرحمن، ٢٠٠٤م،ط١،عمان-الأردن ص ١٢٢
2) المصدر السابق
3) المصدر السابق

ومن لم يظهر في شعره لا هذا ولا ذاك، ظهرت فيه ترصيعات الفرس، وتنميقات الكتاب وزخرفات نثرهم الموشى، فأساليب المعيشة في القصور وأساليب التحية في المجالس أوجدت المفردات الفارسية الكثيرة في اللهجة المحكية أو اللغة المكتوبة، ورد عند ابن الرومي:

يا أيها الملك الذي في برده قمر وشير[1]

ويعني (الأسد) وقد نجد بعض الشعر المنظوم على أوزان الفارسية كالدوبيت والرباعية متفننين في تسميطه وتوشيحه.

ومن مميزات هذا العصر ما يصح أن نسميه علم الشعر، تمييزاً له من العناية بنظم الشعر، فقد كان الشعراء المولدون يأتون بالمحسنات اللفظية والمعنوية محاكاة للأقدمين أو اختراعاً منهم، ولا يسمون هذه المحاسن بأسمائها أو يستخرجون علماً مبوباً مرتباً تعززه الشواهد، حتى كان الجاحظ، وقدامة بن جعفر، وابن المعتز، وكان معهم علم جديد له أصوله وقواعده ومقيس على الشواهد، وخير ما يعبر عن هذه النظرة الشعرية والتحول الجديد ما رواه صاحب زهر الآداب عن الحاتمي يقول: [2]

1) ديوان ابن الرومي ج١ – ١٣٣

2) أبو إسحاق القيرواني، زهر الآداب وثمار الألباب ، (٤٥٣ه).ص ١٤٤-٢

"مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، وباينه في صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه وتعفى معالمه، وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذا الحال احتراساً يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان حتى يقع الاتصال، ويؤمن الانفصال، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وإعجازها وانتظام نسيبها بمديحها، كالرسالة البليغة، والخطبة الموجزة لا ينفصل جزء منها عن جزء، وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم واعتماد البديع وأفانينه في أشعارهم، وكأنه مذهب سهلوا حزنه ونهجوا دارسه، فأما الفحول الأوائل ومن تلاهم من المخضرمين والإسلاميين فمذهبهم التعاليم عن كذا إلى كذا، وقصارى كل واحد منهم وصف ناقة بالعتق والنجابة والنجاء وأنه امتطاها فادرع عليها جلباب الليل، وربما اتفق لأحدهم معنى لطيف يتخلص به إلى غرض لم يتعمده، إلا أن طبعه السليم وصراطه في الشعر المستقيم نضى نياره وأوقد باليفاع ناره" ثم يقول في هذا المعنى:

"وهذا هو كلام متناسب تقتضي أوائله آواخره، ولا يتميز منه شيء عن شيء ولو توصل إلى ذلك بعض الشعراء المحدثين الذين واصلوا تفتيش المعاني، وفتحوا أبواب البديع، واجتنبوا ثمر الآداب، وفتقوا زهر الكلام لكان معجزاً عجباً" نخلص من هذا بأمور:

الأول: أثر البديع في كتابتهم فقد كانت تجري على نمط تكثر فيه الاستعارة دون البعد عن إصابة المعنى وفهم الغاية التي يرمي إليها.

والثاني: مذهبهم في النقد حيث يرمون إلى وحدة الأغراض واتصال الأجزاء.

- أسباب حضارية واجتماعية لدى المجتمع العباسي أدت لظهور الزهد :

من الأسباب التي دفعت الشعراء العباسين إلى الزهد الناحية الاجتماعية فقد كانت حياة العرب خالصة لهم فهم يعيشون في الفيافي والقفار ولا يعرفون مظاهر الترف والنعيم إلا القليل ، وبتداخل العرب والفرس تأثرت حياة العرب بالفرس وحضارتهم في الطعام والشراب والقصور والثياب فكانت بداية انبهار بهم ثم سرعان ماقلدوهم في أمور حياتهم فعاشوا مثلهم في القصور ووسائل الزينة ومجالس اللهو مما انعكس على حياتهم فظهرت الخلاعة والمجون نتيجة التأثر بحياة الفرس، من أجل ذلك ظهر تيار الزهد والحكمة الذي يدعو إلى التقشف والبعد عن المعاصي.

كثر اللهو والمجون في العهد العباسي وانتشر الترف بشكل ملحوظ مما دفع كثيرا من الزهاد والوعاظ إلى محاربة هذه الظاهرة فنشأت حركة الزهد في العصر العباسي في ذلك وكان للثقافة الهندية والزرادشتية أثر كبير في ذلك الموضوع مما أدى إلى بزوغ شمس الزهد واشتهر كثير من الشعراء في ذلك المجال منهم أبو العتاهية وأبو نواس وخاض كثير من الشعراء في ذلك الفن ولو من باب المرور

عليه وذلك لإثبات جدارتهم فيه ومن ذلك تتضح أسباب انتشار شعر الزهد في العصر العباسي:

١. انتشار اللهو والمجون والترف مما أدى لانتشار دعوة شاملة إلى الزهد لمحاربة هذا الأمر.

٢. التأثر بالثقافات الأخرى التي دخلت على الإسلام بكثرة الفتوحات مثل الثقافة الهندية والزرادشتية التي تدعو إلى التقشف والإعراض عن الحياة الدنيا.

٣. دعوة الوعاظ والنساك إلى محاربة اللهو والمجون لانتشارهما بشكل كبير وواسع في ذلك العصر.

حال شعر الزهد في عصر ابن الرومي وحال شعرائه :

أصبح شعر الزهد في العصر العباسي فنا مستقلا.[1] وبتشجيع الخلفاء أصبح لهذا الفن ثقل في ذلك العصر وكانت دعوة الزهد تدعو إلى الابتعاد عن الحرص والطمع وذم الدنيا والهوى ومحاربة الأخلاق السيئة والفواحش والتذكير بالجنة والنار والقبروأهوال الموت وسكراته والاستخفاف بالدنيا وإثبات زوالها وتأثر شعر الزهد بالقران الكريم والأحاديث النبوية وبأقوال الحكماء .

وأول من يرد في باب الزهد في العصر العباسي أبو العتاهية، فلقد كان على رأس الاتجاه الإيجابي في حياة الناس في القرن الثاني الهجري، وقد كثر شعره في الزهد حتى غلب على أغلب أيام عمره، وانقطع له لا يقول في غيره. قال أبو العتاهية:

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى تباب [2]

ولذلك ما يستطيع الحي الا أن يبكي على نفسه ، فهو إلى النهاية المعروفة –الموت– مهما طالت :

نح على نفسك يا مس كين إن كنت تنوح[3] (م)

---

1) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): لمحمد بن جرير الطبري، طبع دار المعارف، مصر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عشرة أجزاء، سلسلة ذخائر العرب ٣٠.

2) ديوان أبي العتاهية، قصيدة لدوا للموت،١٤٠٦ه.،ص٤٦.

3) ديوان أبي العتاهية،قصيدة نح على نفسك ،ص١١٧

لتموتن وإن عمـــــ ر ت مـــــا عمر نوح (م)

ويلاحظ الدكتور يوسف خليف أن الفكرة الأساسية في شعر أبي العتاهية هي فكرة المصير: فمصير الانسان في الحياة ومصيره بعد الموت . فهو يقول :[1]

فكرت في الدنيا وجدتهـــــا فإذا جميع جديدها يبلـــى

ولقد مررت على القبور فما ميّزت بين العبد والمولـــى

دار الفجائع والهموم ودار ال بؤس والأحزان والشكوى[2](م)

فمنظر القبور كان يقلقه ويكثر من الحديث عنه وكذلك سكرات الموت، ويبدو أن الزهد في شعر أبي العتاهية قد أصبح غاية تقصد من أجل غاية أكبر وهي خدمة الناس و لذلك فقد آثر سهولة التراكيب وحلاوة الصياغة ،والشعبية في الـــشكل فـــي شعر أبي العتاهية كان لدى أحد الباحثين أهم خصائص مذهبه الشعري التي تقربـــه إلى أفهام الناس جميعا، وتحيط بأبي العتاهية مع ذلك كله تهمة ليس سهلا دفعهـــا ، فقد رمي بها من معاصريه، ومن كتب تراجم الشعراء التي ذكرته ، وطرحت فـــي العصر الحديث، ولم تزّل، ذلكم هي تهمة دخول الزندقة في بعض أنحاء شـــعره .[3] فابن قتيبة يقول: (يرمى بالزندقة بسبب أبيات متفرقة من الشعر قالها في الغزل، وقد

1) يوسف خليف، الروائع في الأدب العربي ،١٩٩٧ص ٥٩

2) ديوان أبي العتاهية، ١٤٠٦ه،قصيدة الدنيا المنغطة ،ص٢٢

3) الشعر في العصر العباسي، ١٣٢-٦٥٦هـ ، د.عمر عبد الرحمن الساريسي، ص٨٨

تؤول على غير معانيها التي أرادها)[1]، وفي كتاب يوسف خليف[2] أن الدكتور طه حسين يتهم أبا العتاهية بأنه كان ينافق في شعره الزهدي ، أما الدكتور شوقي ضيف[3] فيجتهد في إثبات هذه التهمة على هذا الشاعر بسبب أنه لم يذكر الجنة والنار أولا، وبأنه كان متأثرا بمذهب المانوية الذي يركز كثيرا على المال في الدنيا، وعلى أن للعالم آلهين:إله الخير وإله الشر، وإله النور وإله الظلام .

ونجد مثل هذه المعاني التي أشرنا إليها آنفا كثيرة عند الشعراء قديما، وفي كتب التراجم والسير فيض من هذا الغرض الشعري، وأكثر ما نجد هذا اللون الشعري لدى العباد والزهاد والعلماء، بينما هو قليل ضامر لدى مشاهير الشعراء الذين شغلتهم الأغراض الأخرى للشعر عن هذا الغرض، والمتقدم في هذا الغرض من أعلام الشعراء بلا منازع هو أبو العتاهية، فقد استحوذ الزهد على معظم شعره، ومما ورد عنه في هذا الباب: " قال ثمامة بن أشرس: أنشدني أبو العتاهية[4]:

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه ملكه المال الذي هو مالكه

ألا إن مالي الذي أنا منفق وليس لي المال الذي أنا تاركه

إذا كنت ذا مال فبادر به الذي يحق و إلا استهلكته مهالكه

---

1) ابن قتيبة، عيون الأخبار ،١٤٢٥ه ص ٢- ٦٦

2) يوسف خليف، الروائع في الأدب العربي ، ١٩٩٧، ص ١١٧

3) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ،شوقي ضيف ،١٩٧٨، ٢٤٣.

4) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ،شكري فيصل ،دار الفلاح ،١٤٠٦ه ص ٦٧.

فقلت له: من أين قضيت بهذا ؟. قال: من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو ما لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت"[1]

فهذه الأبيات فيها حض على الإنفاق، وادخار الثواب عند الله تعالى، ومعناها متفق مع مقاصد الشريعة التي تسعى إلى تحقيق الكفاية الاقتصادية للناس، والأمن الغذائي بالقضاء على الجوع والفقر، مما يحقق تماسك المجتمع الإسلامي، وتعاضد أبنائه، ونموه اقتصاديا، وانمحاق كافة الجرائم التي تستتبع شيوع الفقر في الأمة، وهو ما يحقق هدف الدين الحنيف في التربية الاجتماعية السليمة، وإقامة المجتمع الإسلامي المتعاضد .

وقد دأب الشعراء على التأكيد على دعوة الزهد في الدنيا، وعدم التكالب عليها، لأن العمر سريع، ولا يلبث أن يمضي المرء ويترك الدنيا وراءه .

وما دامت الخاتمة معروفة لكل حي، والموت هو النهاية الحتمية لكل مخلوق، فلا مبرر للتعالي والتفاخر والغرور، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي[2]:

كن كيف شئت فقصرك المو ت لا مرحل عنه ولا فوت (م)

بيَنا غنى بيت وبهجته زال الغنى وتقوض البيت

1) كتاب الأغاني، (١٦/٤) للأصفهاني، ٢ – ١٠٢.

2) عيون الأخبار، لابن قتيبة، (٣٠٤/٢) المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

وما زال الموت هو النهاية الأكيدة، فيجب الاعتبار قبل الرحيل، وقبل أن تطوى صفحة العمر، وهو ما يؤكد عليه مالك بن دينار في تصوير حسي ملفت للانتباه، موقظ للمشاعر، يقول :[1]

أتيت القبور فناديتهن أين المعظم والمحتقر

وأين المذل بسلطانه وأين المزكى إذا ما افتخر

تفانوا جميعاً فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر

تروح وتغذو بنات الثرى وتمحى محاسن تلك الصور

فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر

ومادام هنالك بعث وحساب، فنحن بحاجة إلى العمل الصالح والتزود بالتقوى، وأن نسلك السلوك الإسلامي الصحيح في هذه الحياة وخير الزاد هو القليل النافع في الرحلة إلى الآخرة، وهو ما عبر عنه ابن الرومي في قوله:[2]

إذا اختط قوم خطة لمدينة تقاضتهم أضعافها للمقابر

وفي ذاك ما ينهاهم أن يشيدوا وأن يقتنوا إلا كزاد المسافر

وقد نظر الشاعر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب)[1] ، فاقتبس منه التشبيه الجميل المعبر وضمنه في شعره.

---

1) المصدر السابق، (٣٣/٢).

2) ديوان ابن الرومي، (٩٦٨/٣).

ولكن اتخاذ الأسباب والاعتماد على العمل لا يكفي وحده، بل لا بد من رجاء عفو الله بعد هذا كله، لأن الإنسان مهما عمل فهو مقصر بحق الله إلا أن يتغمده الله برحمته، وفي هذا يقول محمد بن يسير:[٢]

ويل لمن لم يرحـــــم الله ومن تكـــون النار مــثواه

واغفلتاه من كل يوم مضى يذكرنـــي المــوت وأنساه

من طال في الدنيا به عمره وعاش فالمـــوت قصاراه

كأنه قد قـــيل في مجلس قــد كنت آتيـــه وأغشاه

محمد صـــــار إلى ربه يــرحمنـــا الله وإيـــاه

وتنعكس هذه المعرفة والتصورات لحقيقة الدنيا عند الإنسان المسلم إلى سلوك إيجابي، يجعله يثور على الفقر، ويرفض السؤال للآخرين، وينــشط للعمل بدلا مــن مذلة الاستكانة والاستسلام، ويسارع إلى تقوى ربه، ويكون راضي النفس في هــذه الحياة، متوازنا بين عقله وقلبه، لا تقتله الدنيا بهمومها وآلامها، وفي ذلك يقول بشر الحافي رحمه الله:[٣]

---

1) رواه أحمد عن سلمان رضي الله عنه، انظر: الزهد، ص (١٩٠)، والمسند (٤٣٨/٥)، سنن ابن ماجــه أيضا (١٣٧٤/٢) وقد رمز السيوطي لصحة هذا الحديث في الجامع الصغير، انظر فيض القدير (٣٩٤/٥) نشر دار الفكر، دون تاريخ.

2) كتاب الأغاني، (٣٩/١٤-٤٠). الأصفهاني.

3) مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور، تحقيق منصور صاغرجي، وأحمد حمــامي، (٢٠٣/٥)، دار الفكــر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـــ = ١٩٨٤م.

أقــسمت بالله لرضخ النــوى وشرب ماء الأعــين المالحــه

أعز للإنســان من فقــــره ومن سؤال الأوجــه الكالحــه

فاستشعر اليأس تكــن ذا غنى وترجعن بالصفقــة الرابحــه

فاليأس عز والتقــى ســـؤدد وشهوة النفس لها فاضحـــه

من كانت الدنيا به بـــــرة فإنها يوما لـــــه ذابــحــه

نستطيع القول على العموم إن شعر الزهد بشكل عام غرض طرقه الــشعراء جميعا، وكانوا فيه منضبطين مع روح الإسلام بصورة عامة، إلا ما نجده عند بعض الفرق المنحرفة التي عطلت العمل، وتركت السعي والكسب، وتحولت إلى جماعات من البطالين في التكايا والأربطة، مما جعل العلامة ابن الجوزي ينعى عليهــا هــذا السلوك السلبي في الحياة، الذي يخالف السنة ويبتعد عن الفطــرة، ويبــين أن ســنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا السلوك بمعزل، وذلك في كتابه القيم : (تلبيس إبليس)، وهو كتاب يستحسن مراجعته لمن أراد معرفة هدي الإســلام فــي الزهد، وما أصاب هذا المفهوم من انحراف في العصور المتأخرة عــن الــصراط المستقيم.

الفصل الأول :

الدراسة الموضوعية

المبحث الأول:

ابن الرومي حياته و شعره وأسباب حضور الزهد في شعره

أ- التعريف بالشاعر ابن الرومي:

١-حياته:

ولد ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج، أبو العباس، في بغداد عام ٢٢١ للهجرة -٨٣٦ للميلاد، وكان مولى لعبيد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور وكان والده من الروم، وقد أطلقت هذه الكلمة على عدة معان مختلفة بحيث إنها لا تشير لأية إشارة دقيقة لجنسية الموصوف بها وربما كان معناها هنا الإغريقيين من أهل الإمبراطورية الرومانية السفلى.

ويبدو أن أمه (حسنة) كانت من أصل فارسي. ويتبين من اسم جده (جريج) أنه كان مسيحيا، ومن اسم أبيه العباس أنه كان مسلماً. وتقتضي صلة الولاء أنه أسلم على يد مولاه عبيد الله بن عيسى، ولا شك أنه كان رقيقا فأعتقه[١] عبيد الله في تلك المناسبة، ويبدو أن عبيد الله نفسه لم يكن مشهوراً، وإن انحدر من أسرة لها خطرها،

1) ابن الرومي حياته من شعره ،عباس محمود العقاد ،١٨٨٩-١٩٦٤ ص ٢٩٢

ذات قرابة وثيقة بخلفاء العصر من العباسيين. فقد كان عيسى أبو عبيد الله ابن عـــم هارون الرشيد ، وأخا زوجته المشهورة زبيدة

وادعى ابن الرومي مرة أو اثنتين أنه من أصل شريف أو ملكي، قال:

وبعد فإنني في مشمخر عصائب رأسه قطع ضبـــاب

أحلتنيه آبـــاء كـــــرام بتيجان الملوك ذوو اغتصاب [1]

ولن نحمل هذا الادعاء محمل الجد . إذ يبدو أنه كان من المألوف وصف كل فارسي أو إغريقي على وجه التقريب بأنه من أصل ملكي ، حتى ان ابن الرومـــي نفسه يدعي أن كسرى من أجداد أجداد أصدقائه ،على حين يعلن أن قيصر من آبائه

وقضى ابن الرومي طفولته وشبابه في بغداد ، ويوجد من الأسباب ما يجعلنا نطمئن الى أن أسرته إذ ذاك كانت على شيء من اليسار وبرزت موهبته الـــشعرية في وقت مبكر ، فقد صاغ قصيدة قصيرة ، يقال إنها أول ما قال ، وهو لا يزال في الكُتاب ، وأشار ذات مرة إلى الدراسات المتقدمة التي تلقاهـــا فـــي صـــحبة أحـــد الأصدقاء وربما كان من أساتذته محمد بن حبيب البغدادي ، الذي اشتهر بمعرفـــة التاريخ و اللغة ، ولا توجد معلومات أخرى عن ثقافته ، غير ما يمكن استنباطه من آثاره . إذ تدل قصائده على بعض المعرفة بتاريخ العرب و الفرس ولكنني أشك في

1) ديوان ابن الرومي ، ٣ ،١٤٤

تجاوز معارفه التاريخية ما كان شائعا بين أهل عصره من المثقفين رغم أنه أشـــار إلى كثير من الشخصيات التاريخية[1].

لم يكن شعر ابن الرومي الا لما يعانيه في مجتمعه، ولما كان يعانيه في نفسه وجسمه، وأهل زمانه، وهو أكثر الشعراء وصفا لما يعانيه أهل زمانـــه ومـــشاعره نحوهم وإلى الكشف عما يعانيه من هموم ومتاعب بسبب ضعف جسمه وبنيته، أوما يحس به من مخاوف وأوهام وظنون والشعراء عموماً لا يتحـــدثون كثيـــراً عـــن أحوالهم وما يمر بهم من دقائق حياتهم اليومية، لأنهم منصرفون إلى الفن، ينظمـــون الشعر ويجوِّدونه ويعتنون به، معتقدين أن همومهم الشخصية مِلْكٌ لهم فحسب، وأنـــه من غير اللائق إطْلاع الآخرين عليها، لذا لا نستطيع الحصول على صور واضـــحة للشعراء من خلال دواوينهم، لكن الأمر مختلف مع ابن الرومي، لأن شعره انعكاس لكل دقيقة كان يعيشها في مجتمعه، ولكل همّ كان يحسه ويعيـــشه، إنـــه باختـــصار يعرض حياته العامة والخاصة بكل تفاصيلها من خلال الشعر، وهـــو بـــذلك يهيـــئ الشعر ليكون قريباً من روح الحياة والناس، وأكثر تعبيراً عن نفس قائله، كمـــا أنـــه يهيئه ليكون تعبيراً عن الأحاسيس والمشاعر الخاصة أكثر من كونه وصفاً للممدوح، ومهنةً يتكسب الشاعر منها قوت يومه. إنه يحاكي مختلف مظاهر الحياة، ويحـــاكي مشاعره أكثر من محاكاته للفن الشعري ذي الأصول الراسخة التي تعـــارف عليهـــا

1) ابن الرومي حياته من شعره عباس محمود العقاد ١٨٨٩-١٩٦٤ ص٢٩٩

النقاد. وهذه المحاكاة هي جوهر الشعر، لأن الشعر تعبير عن النفس أولاً. وإن فهمه لوظيفة الشعر على هذا النحو تجديد حقيقي في الشعر، لأنه أبعده قليلاً أو كثيراً عن دائرة الرسميات وما تعارف عليه النقاد وأهل البصر بالشعر. ولعل هـذا الموقـف سبب من أسباب ابتعاد ممدوحيه عنه، لأنه انصرف عنهم إلى نفسه وأحواله، فبـدت قصائده مزيجاً من مشاعر متباينة، فيها وقوف طويل عند ذاته المعذبة المقهورة التي أصابها نُوَبُ الزمان، وفيها وقفات قصار متفرقة عند الممدوح، حتى لتصبح أحـوال الشاعر الغرض الرئيس من القصيدة، ويصبح المدح تابعاً أو ذيلاً لها. ولم يترك ابن الرومي صغيرة ولا كبيرة تتعلق بحياته إلا أحصاها في شعره، بـل إنـه أحـصاها في الشعر الموجه إلى الآخرين، فلم يكتفِ بعرض همومه ومشكلاته وكل ما يعانيـه في قصائد ذاتية مستقلة، بل إنه جعل تلك الهموم موضوعاً أساسـياً فـي قـصائده المدحية التي توجه بها إلى الممدوحين.

لذا سنبحث عن المؤثرات التي تركت صداها في شعره، سواء أكانت عامـة تتعلق ببيئته ومجتمعه ، أم خاصة تتعلق بشخصيته جسماً ونفساً. وسأرى كيف تجلت في شعره. وإنني أعترف أن الفصل بين تلك المـؤثرات غيـر علمـي، لأن تلـك المؤثرات متداخلة متشابكة فيما بينها، تَشابُك المشاعر والأحاسيس، لكنـي سأفـصل بينها فصلاً مؤقتاً لأتلمّس مظاهر كل أثر على حدة، وأنا أعلم أن اسـتقلالية الأثـر أحياناً قد ينتج عنها تشابهٌ في المظاهرات التي تجلت فيها مع مؤثرات أخرى، لكـن

لا حيلة أمامي إلا أن أفعل ما سأفعل تتبعاً للأثر من مصادره، ورصداً له في مظاهره التي تجلى فيها.

استجاب ابن الرومي لأحداث عصره المختلفة وشارك فيها من خلال رصده لها وتعبيره عن مشاعره تجاهها، وهي مشاعر غير صادقة أملتها طبيعة مهنته بوصفه شاعراً مداحاً يعيش على مهنة الشعر وما فيها من مديح وتهانٍ ورثاء؛ فقد شارك في أحداث عصره مهنئاً بالخلافة وبالوزارة وبولاية العهد، وبالقدوم من السفر، والشفاء من المرض، وبناء الدُّور، وبالأعياد المختلفة، وبالزفاف والولادة والخِتان، وأشاد بالأعمال الإيجابية للخلفاء ووزرائهم وقوادهم، كالقضاء على الخارجين على الخلافة، والانتصار على الروم واستعادة ما اغتصبوه من بلاد المسلمين، والإصلاحات الإدارية والاقتصادية، أما وفاته فمات مسموما عام ٢٨٣ للهجرة بعد أن سممه الوزير القاسم بن عبيدالله بعدأن خاف من هجائه وقبح لسانه فلذلك كان لسانه وثيق الصلة بموته[١] .

1) الصفدي صلاح الدين خليل ، الوافي بالوفيات ، ج١١ ص ١٧١.

وكان شعر ابن الرومي في هذه المناسبات ضعيفا قليل الأهمية، لأن ابن الرومي هدف من ورائه إلى التكسب والمجاملة، ولم ينطلق فيه من ثوابت أخلاقية أو من مشاعر صادقة، كما يغلب عليه التكلف والتكرار والإطالة.

ونضيف الى ذلك كله أن ابن الرومي تميز بصدق إحساسه فهو بعيد عن التلفيق والنفاق، وكما أنه عمل على مزج الفخر بالمدح فنراه في المدح يميل إلى الشكوى والأنين ويعمل على مشاركة السامع له في مصابه وألمه ، ويذكر السامع دائما بالموت، ونراه حاد المزاج فجاءت أشعاره مبدعة في الحركة والتشخيص والوصف واعتنى بالموسيقى والقافية، وكما أنه يمتاز بطول النفس في أشعاره والقدرة السحرية على التحليل وفاق شعراء عصرة بالوصف.

بالرغم من تميز ابن الرومي وذكائه الحاد وأدبه وفطنته إلا أنه كان ضئيل الجسم دميم الوجة قبيح الملامح ، فلا يوحي مظهره عن حقيقة جوهرة المتقد وروحه الوثابة وشاعريته الفذة ومع ذلك فقد كان مدركا لتلك العبقرية والشاعرية المتوهجة التي منحها الله تعالى له فكان شديد الاعتداد بنفسه وعظيم الثقة بقدراته وفنه.

وقد عرف ابن الرومي بتطيره ولعله كان يبالغ في ذلك ليتقي الخروج من منزله ويتجنب المجالس التي لايرغب في حضورها.

ب- فلسفة االشاعر ابن الرومي :

كان ابن الرومي مثقفا بثقافة عصره المختلفة، فلسفية وغير فلسفية، وبرع فيها، ولاسيما الاعتزال، وأغلب الظن أنه لم يكن معتزلياً، لكننا لا نستطيع إنكار معرفته بالاعتزال وتمكّنه من أدواته ومادته ومنهجه، لأنه لون من ألوان الفكر الخصب. والمعتزلةَ أصحاب فكر حر منفتح على كل الثقافات العربية والأجنبية ولاسيما اليونانية فقد تسلحوا بتلك الثقافات للرد على أصحاب النحل والأديان الأخرى. وقد بلغ ابن الرومي من تلك الثقافات الغاية حتى قيل: إن الشعر كان أقل أدواته. وكان لابد لتلك الثقافة من أن تظهر في شعره، في شعر ابن الرومي معانٍ كثيرة جداً، غنية وعميقة، تدل على تمكنه من ناصية الفلسفة والمنطق في عصره. وهذه السمة لم ينفرد بها ابن الرومي عن الشعراء في تاريخ الأدب العربي، فقد سبقه أبو تمام (٢٣١هـ)، وجاء من بعده أبو العلاء المعري (٤٤٩هـ)، لكن ابن الرومي زاد كثيراً على أبي تمام ، وإن كان متمكناً مثله من شاعريته ، ولم يسمح للفلسفة أن تطغى على شعره وتفسده، بل استطاع أن يقدم الفلسفة من خلال الفن، على عكس المعري الذي لم يستطع تقديم الفلسفة من خلال الفن، فبدت نابية قبيحة، لأنها جاءت على حساب الفن الشعري. لكن ابن الرومي لم يستطع أن يقدم الفلسفة والمنطق دائماً في إهاب الفن، بل إنه كان يقع أحياناً فريسة للمعنى الفلسفي من غير أن يقدر على تذليله لفنه، فيبدو المعنى نابياً وبعيداً عن روح الشعر. من ذلك قوله يمدح:

إذا صبتْ زهرته صبوة قال لها هرمسه هندس

وإن عدا هرمسه حده قالت له زهرته نفس[1]

((والزُّهْرَةُ هي رَبّةُ الجمال واللهو، وهِرْمِس هو اسم عُطارِد عند الفُرْس وهو رَبُّ الكتابة والحكمة... يعني أن ممدوحه يميل مع اللهو والجمال فتهيبُ به الحكمة والمعرفة، ويُرهق نفسه بهذه فتدعوه الزُّهرَةُ إلى التنفيس))[2].

وتبدو الصعوبة في هذا المعنى، وفيه تكلف، لكن ابن الرومي آثر أن يقدم ذلك المعنى البسيط تقديماً فلسفياً إظهاراً للمقدرة وإثباتاً للشاعرية والمعرفة بالفلسفة، وإن جاء كل ذلك على حساب الفن.

وقال يعاتب ممدوحا :

كنت ممن يرى التشيع لكن ملت في حاجتي إلى الإرجاء[3]

يريد أن يقول لممدوحه إنك تنكرت لأصدقائك وأرجأت حاجتي لديك فلم تقضها لي، لكنه عبّر عن هذا المعنى من خلال مصطلحين سياسيين دينيين، أولهما مصطلح التشيع والآخر الإرجاء .

أو كقوله في مصطلحي الجبر والاختيار في معرض معاتبته لأحد ممدوحيه على تأخره في عطاء كان قد وعده به:

---

1) ديوان ابن الرومي تحقيق حسين نصار : ٣-١٢٨ .
2) ابن الرومي حياته من شعره،العقاد،١٨٨٩.
3) ديوان ابن الرومي: ٧١/١.

لَئِنْ خَيَّبْتَني ورَفَدتَ غيري لقد صَدَّقْتَ عندي قَوْلَ (جَهْمِ)

ألا لا فعلُ حي باختيار متى خيبتني لكن بحتم[1]

فَجَهْمُ المذكور هو جَهْمُ بن صَفْوانْ (١٢٨هـ) ــ كان يقول: إن الإنسان مجبر في كل أفعاله، وليس حر الإرادة في فعل ما يريد، يريد ابن الرومي أن يقول لممدوحه: إنني سأهجوك مُجْبَراً على هجائك على مذهب جهم هذا لأنك حرمتني وأعطيت غيري.

ولايعرض ابن الرومي أي معنى ويقدمه بدون تعليل، لأن التعليل عنده جزء مهم من أجزاء توضيح المعنى؛ فقد تكلم الشعراء قبل ابن الرومي وبعده على الصداقة ورأوا أن الصديق قد يتحول إلى عدو، لذا يجب الحذر من الصديق أضعاف الحذر من العدو، لكن ابن الرومي لم يرضَ بتقديم هذا المعنى كما يقدمه غيره، بل لجأ إلى التعليل والقياس، فقاس الصديق على الطعام، والغدر على الداء، فوجد أن الداء يكون خطيراً عندما يكون داخل الطعام لا نراه، لأننا لو رأيناه ما أكلناه، وكذلك الصديق الذي يتحول إلى عدو فيأتي خطره من حيث لا نتوقع الخطر:

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه يحول من الطعام أو الشراب

1) ديوان ابن الرومي تحقيق :حسين نصار٣٨٢/٤.

ثم يتكلم عن كثرة الأصدقاء، ويرى أن كثرتهم لا تغني شيئاً، وأن الخير في القليل منهم. وهذا المعنى مألوف، لكن ابن الرومي لا يرضى به على هذه الصورة، بل يعلله بقوله: إن البحر على اتساعه وعظمه مالح لا ينفع العطشان، على عكس القطرة من الماء الصافي العذب:

ولو كان الكثيرُ يَطيْبُ كانت مُصاحبةُ الكثير من الصواب

فدع عنك الكثير فكم كثير يعاف وكم قليل مستطاب

وما اللججُ الملاح بمرويات وتلقى الري في النطف العذاب[1]

وبفضل ثقافته الواسعة والمتنوعة، وقدرته على الجدل والاحتجاج جعلتاه يقف عند المعنى الواحد المألوف فيفصل القول فيه مادحاً، ثم يذمه مفصلاً في ذكر عيوبه، دون أن يخلَّ بالمعنى في كلتا الحالين. وهذا الصنيع من ابن الرومي لم يكن مقصوراً عليه وحده، فقد سبقه إليه المعتزلة والمتكلمون ولاسيما الجاحظ .

فالحقد داء يكرهه كل الناس ويذمونه كما ذمه ابن الرومي، لكن أحداً لم يمدح الحقد ويبين مزاياه، مثلما فعل ابن الرومي؛ فهو يرى أن الحقد توأم الشكر، ولكلٍّ موضعٌ، فهنالك أشخاص يستحقون أن نحقد عليهم لإساءتهم للناس، مثلما يستحق آخرون الشكر لإحسانهم إليهم، لأن المسألة مسألة دَيْنٍ واستحقاق، ثم يضيف إلى هذا

1) ديوان ابن الرومي: ١/٢٣١، ٢٣٢.

المعنى معنى آخر أكثر عمقاً وجِدَّةً من سابقه، فيرى أن الحقد محمود لأنه يوصل صاحبه إلى ثأره، ولولا الحقد لنسي صاحب الثأر ثأره:

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض

فحيث ترى حقداً على ذي إساءة فتم ترى شكراً على حسن القرض

ولا عيب أن تجزي القروض بمثلها بل العيب أن تدان ديناً فلا تقضي

وخير سجيات الرجال سجية توفيك ما تسدي من القرض بالقرض

ولولا الحقود المستكنات لم يكن لينقض وتراً آخر الدهر ذو نقض[1]

ففي هذه المقطوعة نرى ابن الرومي حمد الحقد كثيرا فوجده مهما لحياة الناس وله فائدة كبرى جدا فمن خلاله يحصل الإنسان المساء إليه على حقه.

وبفضل ثقافته الواسعة وقدرته على الجدل والحجاج إلى تقصي المعاني واعتصارها اعتصاراً شديداً لا يبقى فيه زيادة لمستزيد، مع المحافظة على الوحدة العضوية فيها، فكل بيت يرتبط غالباً بأخيه من قبل ومن بعد، لأن المعنى لا يكتمل إلا إذا قرأنا ما قبله وما بعده، فالمعاني عنده متولد بعضها من بعض، ولا سبيل إلى الفصل بينها في كثير من الأحيان. وهذا سبب من أهم أسباب إطالة القصائد في شعره

1) ديوان ابن الرومي: ١٣٨٠/٤. المستكنات: المختبئات. الوتر: الثأر .

وهذا التقصي واضح تماما في شعره، لا تكاد تخلو قصيدة منه، فالشيب مثلاً موضوع تكلم فيه الشعراء كثيراً منذ الجاهلية، لكن ابن الرومي لم يترك معنى يمكن أن يقال في الشباب والمشيب إلا أتى به، من خلال تفصيل زائد يعتصر فيه المعنى ولا يترك فيه شيئاً. من ذلك قوله في رثاء شبابه، وقد جعله مقدمة لقصيدة مدحية من مئة وخمسة وسبعين بيتاً، منها سبعون بيتاً في رثاء الشباب والتفجع عليه، وفي هذه الأبيات السبعين يكرر عبارة (يُذَكِّرني الشبابَ...) ثماني مرات؛ فمرة يذَكره الشبابَ عطشُه الطويل إلى رضاب النساء الجميلات فيفصّل القول في ذلك، ومرة أخرى يذكّره الشبابَ انصرافُ النساء عنه لشيبه، ومرة ثالثة يذكّره الشبابَ ما فعلته أحداق النساء.

جـ- أسباب جسمية ونفسية واجتماعية دفعت ابن الرومي للزهد:

١- جسمه :

كان ابن الرومي ضعيف البنية، يُغَرْبِلُ في مشيته، ويستند على العصا في آخر أيامه، ضعيف البصر والسمع، ويشكو من ضعف جسدي، ومن شيب غزا رأسه في سن الشباب، علاوة على نهمه الشديد إلى الطعام.

وصف ابن الرومي جسمه ونفسه بكل ما فيهما من عيوب وأوجاع ومآخذ وأسرف في ذلك الوصف حتى لم يستطع أحد من الشعراء غيره اللحاق به في هذا المجال، بل إن معظم شعره يمكن أن يحمل على هذا الوصف، وثمة نماذج شعرية كثيرة له في وصف جسده بما فيه من علل وعيوب، ونفسه بما فيها من مخاوف وأوهام وظنون، لكنني سأقف عند شاهد واحد هاهنا يصور فيه ابن الرومي جملة من المصائب التي نزلت به في جسده وفي نفسه، وهذه المصائب هي التي ركز عليها في شعره أكثر من غيرها، وفصل القول فيها. كقوله يمدح الوزير القاسم بن عبيد الله ويعاتبه، في قصيدة تتألف من مئتين وستة عشر بيتاً، ثلثاها في تصوير سوء حاله:[1]

أنا مولاك أنت أعتقت رقي بعدما خِفْتُ حالةً نَكْراءَ

فعلام انصراف وجهك عني وتناسيك حاجتي إلغاء

1) ديوان ابن الرومي: ٨٢/١ ــ ١٨٨٩-١٩٦٤.

أناعارٍ مِنْ كلِّ شيءٍ سوى فَضْـــ لِكَ لا زلْتَ كِسْوَةً وغِطـــاء

أنامَنْ خَفَّ واسْتَدَقَّ فما يُثْـــــ ـقِلُ أرضاً ولا يَسُدَّ فضـاء

أنا ليث الليوث نفسا وإن كنـــ ت بجسمي ضَئِيْلَةً رَقْشـــاء

لست باللفظطة الخسيسة فاعرف لي قدْري واسألْ بـــه الفُهَماء

أنا ذاك الذي سقته يد السقـــ ـمِ كُؤوساً مِنَ المُـرَارِ رِوَاء

ورأيت الحمام في الصور الشنـــ ـعِ وكانتْ لولا القضاءُ قَضاء

ورماه الزمان في شقة النفـــ ـسِ فَأَصْمَى فُؤَادَهُ إصْمـــاء

وابتلاه بالعسر في ذاك والوحـــ ـشَةِ حتى أَمَلَّ منه البَـــلاء

وثكِلْتُ الشباب بعد رضـــــاع كان قبلَ الغِذاءِ قِدْماً غِـــــذاء

إن هذه الأبيات تصور حقاً حال ابن الرومي تمام التصوير، وتعبر عما يحسه من هموم وعذاب في جسده وفي نفسه، وقد توجه بهذه الأبيات إلى ممدوحـــه الـــذي وصفه بأنه سيده ومالك أمره الذي سيقضي له حوائجه، ثم يشير إلى أن ضعف بنيته لا يؤثر في همته وشجاعة نفسه وإبائه، وأنه ذو أصل عريق، وليس لقيطاً لا يُعرف والدُه أو أصله، وهو الذي تكالبت عليه الأمراض والعلل حتى طحنت جسده، وهـــو يكره الأشكال القبيحة ويراها كالموت الذي يكرهه ولا يحب لقاءه، وهو فـــوق كـــل ذلك مُعْسِرٌ وحيد في حياته، فقدَ الشباب في سن مبكرة. لكن كل ما أصابه لم يجعـــل

ممدوحه يَحِنُّ عليه أو يقدّر سوء حاله، بل ظن أن ما به من تذلل وخضوع له هو مِنْ هَوانِ نفسه، فما زاده ذلك التذلل إلاَّ إبعاداً له عن مجالسه وتنكراً له.

وهذه المعاني تصور ما أصاب ابن الرومي في حياته، وإن كان فيها بعض المبالغة، لكن هذه المبالغة تخفي خلفها حقيقة ما أصابه.

وقد أثرت هذه الأوضاع التي ذكرها ابن الرومي في شعره كثيراً، لكن تأثيرها لم يكن واحداً، بل أخذ منحنين اثنين؛ أولهما التعبير عن هذه الأوضاع تعبيراً حقيقياً من خلال مئات القصائد والمقطعات التي تدور في معظمها حول هذه المعاني، وثانيهما تجاوز هذه المعاني والبحث عن معانٍ مناقضة لها على سبيل التعويض، فادعى أشياء لم تكن فيه، وصور نفسه بصورة بعيدة عما هي عليه، كما حوّل ضعف بنيته إلى قوة مبالَغ فيها. ولم يقف عند هذا الحد بل أثرت أحواله الجسدية والنفسية في طبيعة شعره أيضاً.

وقد عبر عن هذه الأحوال بالصدق حيناً من خلال أشعار كثيرة، وبالادعاءات الكاذبة حيناً آخر ليخفي ضعفه، لكنه بادعاءاته تلك قدم لنا تحليلاً دقيقاً لنفسه وإن كان تحليلاً معكوساً، لكنه لا يقل أهمية عن الأشعار التي وصف فيها أحواله الجسدية والنفسية فمن بين ادعاءاته الكثيرة يصف شجاعته وفروسيته وبطولاته، على الرغم مما عرف عن بنيته من ضعف واعتلال، وعن نفسه من جبن وخوف وتوهم .

ب- نفسه:

انعكست نفس ابن الرومي في شعره تمام الانعكـــاس، وأثــرت فيـــه تـــأثيراً واضحاً، حتى ليصِحّ أن نقول: إننا لا نستطيع فهم شعره ما لم نفهم نفسه حق الفهم. وانعكاسُ نفسه في شعره أخذ عدداً من الأشكال أو المظاهر؛ منها ما كـــان تعبيـــراً صادقاً عن تلك النفس في مختلف أحوالها، ومنها ما كـــان تعويـــضاً عـــن هـــزائم وانتكاسات نفسية أخذت شكل ادعاءات مختلفة، كتلك الادعاءات التي رأينـــا بعـــضاً منها عندما تكلمنا عن بيئته وعصره والتبرم بالناس وسرعة الغضب، وكأنه يريد أن يتعالى على ما فيه من عيوب نفسية، أو أن يعوض تلك النقائص والعيوب بفـــضائل يمتدحها الناس في كل الأزمنة والأمكنة؛ فقد ادعى أنه ذو حلم وصبر وأناةٍ، إذا كان الشعر تعبيراً صادقاً عن الحياة التي يعيشها الشاعر فالشعر الرومـــي مـــادة حياتـــه يترجم به كل ما عمل وما علم بقالب فني رائع. فلا يتحرك أو يتنفس أو يحـــس إلا ليتخذ من ذلك كله مادة لشعره وفنه وابداعه في حين أنه ينكسر انكـــسارا لنـــازلات الزمن ويتمنى الموت ويتضح جليا في قوله في داليته لرثاء ابنه :

ثكلت سروري كله إذ ثكلته وأصبحت في لذات عيشي أخا زهد[1]

أود إذا ما الموت أوفد معشرا إلى عسكر الأمـــوات أني من الوفد

1) المصدر السابق ٣- ٢٨٨.

وإذا قلنا تأثره بالفن الرومي فهذا لا يعني أننا نرد ذلك إلى أصل الشاعر، ولا نرى أن الأصل الوراثي له تأثير على الفن عامة والأدب خاصة. إذ لم ينبغ من اليونان أو الرومان إلا العدد اليسير، وابن الرومي من أي أصل كان، وفي أي مكان عاش هو فنان ولا يهمنا من بعيد أو قريب تعليل الأصول أو تصنيف خصائص الشعوب. وقد وصفنا ابن الرومي بالفنان لأنه صاحب عبقرية أحب الحياة وعاش معها يلتقط الصور والأشكال، ويشخص المعاني، مظهراً الجمال في كل ما يرى ويسمع ويحس. وقد أحس بالجمال وقدمه على كل شيء .

وما أحب الخير والحق إلا لأن فيهما لوناً من ألوان الجمال. والحق يقال إن الإحساس الدقيق والعميق للجمال يأتي في مرحلة حضارية بعيدة المدى. فالأمة التي تعشق الجمال وتحسه وتقدر معانيه هي أمة راقية جداً، بلغت من السلم الحضاري أرقى درجاته. فبعد أن عرفت الخير وفهمت الحق أحست بالجمال، فعاشته وتمتعت بخيره. وهذا حقها في الحياة الإنسانية الحرة الكريمة الراقية[1].

1) ابن الرومي، شاعر الغربة النفسية، حسين عطوي ١٩٩٨ ص ٤٢٩.

ج- **مجتمعه :**

لقد كان ابن الرومي غير مرحب به في مجتمعه فلقد كان غير مأنوس الجانب ويميل للعزلة والاتكاء على خلوته ولذلك أصبح المجتمع يتحاشاه لاضطراب نفسه وتقلب مزاجه ، فغزته النكبات والنوائب من كل فج فضاع صوابه وهارت أعصابه فكل من حوله إما كان متسليا أو متشفيا ، فلم يستطع صاحب الحس المرهف والمقدرة الشعرية الفذة على احتمال هذه النكبات كلها فمال للزهد في مجتمعه ورفقته و معشره و حياته وكذلك لكثرة حساد ومبغضيه ولعل موته مسموما دليل على ما عاناه في حياته .

وهاهو يعبر عن تجاربه مع مجتمعه تعبيرا واضحا في قوله :

بلوتُ طعومَ النّاس حتى لو أنّني وجدتهم أحلى مذاقاً من الشَّهدِ

لقد آنَ أنْ أسلاهم وأملَّهمْ فكيف وما لاقيتُ منهم أخا رُشدِ؟

وكيف وقد جرّبت من طبقاتهم تجاريبَ تدعو النفسَ منهم إلى الزّهد[1]

فابن الرومي عانى ظلما من مجتمعه ومن شعراء عصره ومن النقاد قديما وحديثا فهو شاعر مثير للجدل مضطرب الوجدان غريب الأطوار متناقض المشاعر ولا غرابة أن يزهد فيه ويزهد منه .

1) المصدر السابق ٣- ٩٣

المبحث الثاني : فلسفة الزهد لدى ابن الرومي:

في شعر ابن الرومي التفاتات زهدية ، تمحي عبرها أحداق ثاراته، وأشلاء الرعب، ووجوه الأماني المنطفئة، فلا يعود يواجه الناس في نفسه، بل يواجه نفسه ذاتها، ينازع وجودها وفجيعة المصير والبراح، ولئن تعذب ويئس لأمل يخيب، أو لحاجة تصد، فقد كان طبيعياً أن يتفجع ويعول للشباب الذي ينقضي والعمر الذي ينصرم، ذلك أن فكرة الزوال هي الخيبة الكبرى، لأنها تمثل حقيقة الأشياء وقيمتها، وتعتري المرء بشعور الباطل والإعياء، لقد ألمت الشيخوخة بابن الرومي فتنازع وتشبث بالحياة، فكأنه غريق ما برحت تضيء في خاطره، منارات المدينة ومصابيح البيوت والشواطيء، ذلك أن أعظم مأساة هي مأساة الشباب الذي يصبح هرماً، القوة التي تصبح عجزاً، والعافية التي تتحول مرضاً، ويتولاه فيها شعور العدم، ولئن كان ذلك واقع الناس جميعاً، فهو دون شك، واقع ابن الرومي بالذات، لأن شهوة الحياة، ما برحت تتأكل في أعصابه، بعد أن اجتاز شبابه، دون أن يتيسر بإشباعه، ولقد تحولت شهواته إلى رغبات مكمودة، وتتلمظ فيها أحداث الغرائز والميول، وبقيت نفسه تتحرك وتتأكل برغائبها، لذلك فإن حنينه لشبابه، ليس سوى عويل تلك الرغائب التي ستئدها الشيخوخة، أي أنها صيحة الحي الذي يطأ جدار القبر ، فالزهد لديه فلسفة حياة وخلاصة تجربة وعاطفة مؤقتة.

ومن يتأمل زهد أبي العتاهية، وزهد ابن الرومي، يجد أن ذاك عــن اقتنــاع وتقوى وتزهد، وهذا عن هرم واستحالة، ذاك زاهد قادر، وهذا لاه عاجز، ولكن ابن الرومي يشعرنا في بعض نصوصه أن لديه حسا دينيا زاخرا ونفسا وروحا ملتزمــة مراقبة لله عزوجل كقوله : وكفى شاهدا بذاك مليك لم تزل عينه علي رقيبا[١]

وابن الرومي لما يلتفت إلى الموت، ويتحدق تحــديقاً، يــوري بــه الرعــب والزهد[٢] لهذا لا نرى في تبطله قلقاُ وحذراً، أو تبكيتا كأبي نواس، بل رعونة وقلــة اكتراث يقتربان إلى الحمق، وليس حنينه إلى الشباب سوى حنينه للبطل الذي عجــز عنه، وهو لا يسلم على المشيب ويرحب به إلا لأنه يأمل أن يؤدي إلى عودة الشباب إليه.

وَقُلــتُ مُــسَلّماً للــشَّيبِ أهــلاً بِهَــادي المُخْطِئــينَ إلــىَ الــصَّوَابِ
أَلَــسْتَ مُبَــشّري فــي كُــلِ يَــوْمٍ بِوَشْــكِ تَرَحُّلــي إثْــرَ الــشَّبَابِ
لَقَــدْ بَــشَّرْتني بِلحَــاقِ مــاضٍ أَحَــبُ إلَــيَّ مِــنْ بَــرْدِ الــشَّرَابِ[٣]

إن الشاعر يرحب بالشيب، هادي المخطئين، وقد دعاه في ذلك دعوة عامــة، لا تعبر عن رأيه بل عن رأي الناس فيه، فانتقل بهذه الفلذة من الغنائية الوجدانيــة،

1) ديوان ابن الرومي ج١ ص ٣٠٧
2) أعلام في الشعر العباسي :الساريسي،عمر بن عبد الرحمن عمان،الأردن٢٠٠٤ط١ ص ١٢٢
3) ديوان ابن الرومي ٣ج – ١٣٣ .

التي تعبر عن واقع الشاعر، إلى الكلاسيكية الغيرية التي تعبر عن وجهة النظر العامة، هذه النظرة ليست من حدقته، بل حدقة المطلق، لهذا فهو ليس بهاديه، بل هادي المخطئين، فقد نسب الهداية للمخطئين عامة دون أن يهتدي، لأنه لا يقبل الشيب بزهده ورشده، بل لأنه يبشره (بوشك ترحله أثر الشباب). ولعل ذلك يظهر تقمص العواطف التي تتعذر أو تستحيل، فهي لا تموت أو تستسلم، بل تحتال على نفسها وتتجه في نحو جديد، إن حبه للشباب وشوقه إليه، تحولا به عن شوق الحياة والبقاء، إلى شوق الموت والخلود، حيث يمكنه أن يلتقي بشبابه من جديد، هذا التحول يدل دون شك على شدة تعلقه بالشباب، وكرهه للهرم والشيب، لكنه يدلنا في الوقت ذاته على طبيعة الإنسان التي تتحقق في الوهم، إذ عجزت عن التحقق باليقين. فكأن الخلود ليس في الواقع، سوى ملحمة الشوق، وميثولوجيا الأماني المستحيلة، وهكذا فإن شوق ابن الرومي لشبابه، ابتدع أسطورة اللقاء الثاني العتيد فيما وراء الوجود، بعد أن تعذر في الوجود الشعر والمنطق .

وإذا حاكمنا رأيه بحكم العقل والمنطق، فإنه قد يبدو عقيماً أو كثير السخف، لكن الشعر ليس منطقاً أو تعقلاً، كما أنه ليس فكراً صرفاً، بل صهر حي للذات

جميعاً، في حدقة الرؤيا أو في يقين النفس وايمانها، أو ليست الميثولوجيا [1] في ذلك هي أجمل قصائد الوجود.

إلا أن ابن الرومي لم يكن رائداً من رواد الغيب، [2] وإنما هي بعض خواطره تسنح له، أو بعض أوهام، يقتنع بها جنباً، ليخادع نفسه ويخفف من وطأتها وأساها، وهو على الأحوال جميعاً لا يبدو في هذه الأبيات منهمراً انهماراً من غيبه، وإن كانت تشتمل عليه، بعض صور الذهول، فهذا هو يوشك أن يسف، أو يهذر، فبعد أن ارتفعت المغالاة بحبه لشبابه، إلى ذروة الخلود والأسطورة، إذا به يقع على الحضيض، حضيض النقل والتقرير، والتقليد إذ يجعل حبه له كحبه للشراب :

لَقَدْ بَشَّرْتَني بِلحَاقِ مَاضٍ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ بَرْدِ الشَّرَابِ

1) الميثولوجيا:علم يبحث في الأساطير والشعوب القديمة ولها عدة أنواع منها (ميثولوجيا الخلود). الماجدي،خزعل (٢٠٠٢).

2) أعلام في الشعر العباسي الساريسي،عمر بن عبد الرحمن ، عمان،الأردن٢٠٠٤ط١ ص ٦٧

المبحث الثالث :

مقام الزهد في ديوانه:

ابن الرومي ليس زاهداً بفطرته، ولكنه شاعر الحياة، ولذلك كان شعر الزهد في ديوانه ليس كثيفاُ ، فله خمس قصائد زهدية منها ثلاث في وصف الزهاد، و زهديات منثورة في ثنايا أغراضه الأخرى وهو لا يقاس بشعراء الزهد المكثرين في هذا المضمار[1] ولم يكن الزهد تقليدياً، إذ جعله وصفاً موضوعياً للزهاد، وأدخل عليه الغزل، ولكن ليس على غرار الصوفيين .

ولا ينتظر من ابن الرومي أن يكون واحداً من شعراء الزُّهد، إذ لم يُعرف بالزُّهد طوال حياته، فضلاً عن أنه كان مُقبلاً على الدنيا ولذاذاتها، ونحن نجد في ديوانه بضع قصائد ومقطوعات في الزهد تّتصف بالقصر، وتقع بين البيتين والستة عشر بيتاً، ولعل ذلك يعود إلى أنّه لم يستطع أن يعيش حياة الزّاهد٢، وهي حياة تقوم على التقشّف والصّبر ومقاومة الشّهوات، بل كان ينفق ساعاته في الحانات ومجالس القيان، وقصارى الأمر عنده أنه يصف زهد الآخرين ولا يصف زهد نفسه.

---

1) الصفدي، راكان توفيق (١٩٩١).التطوير والتجديد في شعر ابن الرومي، جامعة دمشق، بحث أعد لنيل درجة الماجستير في الآداب.ص ١١١

2) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت.ص ١٧١

ويبدو أنّه لم يقل ما قال من شعر الزّهد إلا في فترات صحو كانت تنتابــه، و شعره يشتمل على عواطف دينية وتأملات في الحياة والموت. ومــن هنــا تنوّعــت موضوعات زهده.

تأثر ابن الرومي في زهده بعناصر إسلامية أبرزها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وبعض شعراء الزهد كأبي العتاهية وأبي نواس.

ويميل شوقي ضيف إلى تلمّس مصادر زهد ابن الرومي في الجانب الشّعبي، وخصوصاً وصف الثياب البالية الذي سلك فيه مسلك الحمدوي(١) فهو الذي جعلــه يهتم بالزّهد والوعّاظ وليس في حياته ما يصله بالوعظ والزهد (٢).

غير أن شاعرنا يستمدّ زهده من تجاربه وثقافته الواسعة التي جعلته يــدرك حقيقة الدنيا، فضلاً عن نظرته المتشائمة السلبية التي جعلته يزهد في الدنيا، وينــأى بنفسه عنها.

---

1) هو إسماعيل ابن إبراهيم بن حمدوية، شاعر عباسي، من أملح الناس شعراً وأقدرهم على الوصف، وكــان عامة شعره في طيلسان بن حرب؛ ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٣٧٠.

2) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العصري العباسي الثاني، ٣٢٣.

المبحث الرابع : موضوعات الزّهد في ديوان ابن الرومي:

بعد استقراء لنصوص الزهد في ديوانه تجلت لي مضامين وموضوعات بارزة في شعر الزهد لدى ابن الرومي وسنعرض لها بالشرح والتفسير والموضوعات هي:

أ-وصف أحوال الزهاد والعباد :

تنوّعت موضوعات زهده؛ ومنها ما تدور حول تصوير حياة الزاهدين، وتصوير نكد الدنيا وشقائها، والموت وما يحدث للإنسان في قبره، ونعيم الآخرة وتصوير حياة الزّاهدين ، حيث استطاع ابن الرومي أن يصف أحوال الزّاهدين في شعره، وبخاصّة ابتهالاتهم إلى الله، وندمهم على ما اقترفوه من آثام، من ذلك قوله في وصف زاهد[1]:

باتَ يدعو الواحد الصّمدا في ظلام الليل منفرداً

خادمُ لم تبقِ خدمته منه لا رُوحاً ولا جسداً

قائلُ: يا مُنتهى أملي نجّني مما أخافُ غدا

أنا عبدُ غرَّني أمَلي وكأنَّ الموت قد وردا

وخطيئاتي التي سلفت لستُ أحصي بعضها عددا[2]

---

1) ديوان ابن الرومي ٣ – ٣٤٤

2) المصدر السابق ٣– ٢٧٥

يتحدث الشاعر هنا عن أحوال الزهاد والعباد وخوفهم الشديد من الله تعالى وابتهالاتهم الشديدة إليه وهم يدعون الله ويرجونه بأن يرحمهم ويغفر لهم وهم في حالة من الوحدة والخلوة منفردين لا أحد قربهم ، وهم الآن ذليلون منقادون، ولم يعدوا قادرين على فعل أي شيء سوى الدعاء إلى الله تعالى بأن يرحمهم ويقف إلى جانبهم، ويتمنى من المولى جلت قدرته بأن ينجيهم مما يخبيه لهم الزمن ومن أهوال القيامة لأنه الأمل الوحيد لهم، وأن يصفح عن الذنوب التي اقترفوها في حياتهم التي غرتهم ودفعتهم إليها الشهوات ولا عدد لها فساعة الموت قد حانت واقتربت.

وله أبيات تكاد لا تسمعها من متعبد أو زاهد وهي وصف للزهاد وأحوالهم وأسمى صفاتهم وهي التجرد من الدنيا وخلع الخطايا

ومنها :

إلى الزهاد في الدنيا جنان الخلد تشتاق[1]

عبيد من خطاياهم الى الرحمن أباق

حدتهم نحوه الرغبة والرهبة فانساقوا

وزافت لهم دنيا وعاقتهم فما انعاقوا

وقوله أيضا في وصف متعبد متحنث استيقظت جوارحه وتنبه قلبه من مضجعه فهو يصور هذه الأحوال ببراعة رغم أنه لم يعشها :

---

1) المصدر السابق ج٢،ص١٦١

في حشاه من مخافــته حروق تلذع الكبدا [1]

قد غفت عيناه غمضهما والخلي القلب قد رقدا

لوتراه وهو منتصب مشعرا أجفانه السهــدا

كلما مر الوعيد بـــــه سح دمع العين فاطردا

ووهت أركانه جزعــا وارتفعت أنفاسه صعدا

1) المصدر السابق ج٤ ،٢٨٨.

ب-الندب ومحاربة الإغواء:

في إحدى زهدياته القليلة يدعو إلى الزهد وترك الغواية بدافع الخوف من الموت، والمصير الذي يلقاه الإنسان بعده، حيث البلى والوحشة ، ولا سيما أن الأحياء سيرثونه[١]، ويسلونه[٢]:

نبل الردى يقصدن قصدك فأحد قبل الموقت حدك

فدع البطالة والغواية جانـ باً وعليك وشـــدكْ

فكأنّني بك قـــد نعيـ ت وقد بكى الباكونَ فقّدكْ

وخلَوْتَ في بيت البلـــى وخلا بك الملَكانِ وحدكْ

وسلاك أهُلك كلُّهـــم ونسُوا على الأيام عهْدكْ

في هذه المقطوعة الشعرية يتحدث الشاعر عن غرض آخر من أغراض الشعر الزهدي وهو الندب ومحاربة الإغواء ، ويدعو إلى الخوف من الموت وعذابه وينصح الإنسان من ترك الغواية والضلالة وعدم الاكتراث بها والتنبه لنفسه حتى لايضيع ويتوه في الدنيا الزائلة وشهواتها وملذاتها التي لافائده منها، ويصف الشاعر هنا وفاة ذلك الإنسان وحالته وهو محمول على الأكتاف والسير به إلى مثواه ، ثم

1) الصفدي، راكان توفيق (١٩٩١).التطوير والتجديد في شعر ابن الرومي، جامعة دمشق، بحث أعد لنيل درجة الماجستير في الآداب ص ١٢١

2) الديوان ٥/١٤٢١/١٨٦٩/

ينعاه ويبكيه كل من الأهل والأحبة ، وسيضعونه تحت الثرى ويتركونه وحيداً في مثواه الخالي المعتم وينسوه وكأنه لم يعش معهم أبداً وسيرثونه .

ومن أجمل ماقال في هذا الغرض أبيات يتحدث فيها عن مدبر عن دنياه لم يبق إلا ذكراه فهو أسف على متاع فاته وزاد أضاعه في هذه الحياة القصيرة :

دابر أوطاره إلى الذِّكرِ وفاقدُ العين تابع الأثرِ[1]

مآرب فاته المتاع بها إلا افتقاد العهود بالذِّكرِ

إذا تعاطيتْ لهنَ يدي أعجزَنَ إلا تناوشَ الفِكرِ

سقياً لأيامٍ لم أقل أسفاً سقياً ولم ابكِ عهد مُدّكرِ

أمتعني دهرُها بغبطته على الذي كان فيه من قِصر

ومن طريف زهده، وقد تعدّ ذلك مظهراً من مظاهر التجديد، أنه يدخل إليه الغزل ففي قصيدة زهدية يتغزل بحورية الجنة، كأنه يتغزل بفتاة دنيوية، فيقول[2]:

ازجرِ القلبَ إذا القلبُ جمَح وارْدعِ الظّرف إذا الطرفُ طمحْ

واصرفِ النفسَ إلى عدنية ذات غنجٍ ودلالِ ومرحْ

زانها اللهُ بخدّ مشرقٍ لو مش الذرُ عليه لا جرح

فاز من عاطتْ يداها يدهُ عانق الراح بكأس و قدحْ

---

1) الديوان ،ج٢،ص٩٥

2) الديوان ٥٥٧/٤١٢/١/ وما بعدها

ببنانٍ كمداري فضـــــــةٍ طرفتْ بالنّورِ في مجرى السبح

يتحدث الشاعر هنا عن مظهر طريف من مظاهر شعره الزهــدي الجميــل والذي يدخل إليه الغزل وهو يتغزل بحورية الجنة وكأنها فتاة دنيوية ويخاطبها بقوله لقلبه وهو يزجره إذا جمح وابتعد عن الطريق الذي سيوصله إلــى تلــك الحوريــة الحسناء التي تتمتع بالدلال والدلع والمرح وغيرها من الصفات التي تتمتع بها الفتاة الحسناء، وإن تلك الفتاة تتمتع بجمال ورقة الخد وشــفافيته فهــو جميــل ومــشرق وحساس والدليل على ذلك إنه لو جاء عليه شيء من الذر لانخدش وانجــرح لــشدة جماله ورقته، ويتابع الشاعر وصف الفتاة ووصف جمالها فوصل هنا إلى وصــف أناملها الرقية بالنور المشع والفضة الصافية النقية التي لايشوبها شي من التجاعيد أو التقشف وغيرها من العوامل التي يورثها التعب والزمن لها، وفي النهايــة شــاعرنا يحسد الإنسان الذي سيحظى بذلك الجمال الرقيق والفريد ومن يده التي تعانق يديها، فهو محظوظ وسعيد ومرضي .

ج-التوبة والاستغفار والابتهال :

بالغ العقاد في الحديث عن خشوع ابن الرومي وتقاه مستدلاً على ذلك ببعض الأبيات يصف فيها الزهاد[١]، ولكننا إذا عدنا إلى هذه الأبيات وجدناها لا تخرج عن كونها وصفاً خارجياً للزهاد، فكأنه يصور مشهداً من مشاهد الحياة في العصر العباسي حيث انتشر اللهو، والمجون والزهد والتصوف جنباً إلى جنب[٢]، فهو يصف استغفارهم وابتهالهم وتوبتهم يقول[٣]:

تتجافى جنوبهم عن وطيء المضاجع

كلهم بين خائفٍ مستجيرٍ وطامعٍ

يتحدث الشاعرهنا عن خوف الزهاد من الله تعالى حيث لايستطيعون النوم من شدة الخوف فهم في وضعية المتقلب القلق فمنهم الخائف ومنهم من يكون طامعا برحمة الله ومغفرته ومنهم من يكون مستجيرا بالله لأنه الملاذ الوحيد لهم.

ومن الأمثله الشعرية على احتفائه بوصف ابتهال وعبادة الزهاد قوله أيضا:

تركو لذة الكرى للعيون الهواجع[٤]

ورعوا أنجم الُدجى طالعاً بعد طالع

---

1) ديوان ابن الرومي حياته وشعره/ص ١٩١/.١٩٨٦م،

2) الصفدي، راكان توفيق (١٩٩١).التطوير والتجديد في شعر ابن الرومي، جامعة دمشق، بحث أعد لنيل درجة الماجستير في الآداب ص ١٢١

3) الديوان تحقيق حسين نصار ١٤٨٢/١١٣٦/٤/

4) الديوان ،ج٢،ص٣٤٣.

لو تـــــراهـــم إذا هم خطـــروا بالأصابـــع

واذا هم تأوهـــــــــوا عند مـــر القـــوارع

واذا باشروا الثـــــرى بالخـــدود الضوارع

واستهلت عـــــــيونهم فائضـــات المدامـــع

فابن الرومي قد يندم ويتوب عن المعاصي ثم يعود ليلهو ويعاتب من ينـــسى نصيبه من الدنيا وقد سكر بعد إقبال المشيب وادبار الشباب، ثم يقلع عـــن الـــشراب ويذم الشاربين وقد يشح ويحرص على ماله ثم يجود ويسرف ويـــسأل الله أن يقيـــه الشح ويلهمه الجود يقول:

قنـــي يـــا إلهـــي شـــح نفـــسي فـــإنني أرى الجود لي حظا وشيمتي البخـــل[1]

يدعو الشاعر هنا الله عزوجل ويرجوه بأن يجعل شيمته الكرم والجـــود وأن يبعد عنه البخل وقبض اليد المشبهة بالخزانة المقفولة التي لاتفتح إلا بمفتاح.

فابن الرومي ابن ساعته وابن النوبة الطارئة فلا يترك ســـراً فـــي نفـــسه إلا ويعلن عنه، وكأنه نهوم بالغوض عليه والكشف عنـــه دون مواربـــة ويظهـــر هـــذا واضحاً لكل قاريء شعره[2].

---

1) الديوان،ج٣،ص١٧٠

2) أعلام في الشعر العباسي، الساريسي،عمر بن عبد الرحمن عمان،الأردن٢٠٠٤ط١ ص ٦٦

د-القناعة بما قسم الله:

أصاب ابن الرومي نصيباً من الثقافة الدينية التي تتجلّى أكثر ما تتجلّى في الإيمان بقضاء الله وقدره؛ فكما تبدأ حياة الإنسان بالبكاء ساعة يولد فإنّ رحيله لا مفرّ منه، وإنّ خطأ الطبيب هو " إصابة الأقدار" فلنستمع إليه يقول وقد أخطأ الطبيب في علاجه:

غَلِطَ الطبيبُ عليَ غلطة موردٍ عجزتْ محالته عن الإصدار

والناسُ يَلْحونَ الطّبيبَ وإنّما غَلَطُ الطبيب إصابة الأقدارِ[1]

وفي دعوته إلى القناعة، إذ يقول:

إذا ما كساك اللهُ سربالّ صحّة ولم تخلُ من قوتٍ يجلُّ ويعذبُ

فلا تغبطنَّ المترفين فإنّهم على حسب ما يكسوهم الدهر يسْلُبُ[2]

يدعو الشاعر هنا الإنسان الفقير إلى القناعة والرضا بما يعطيه الله تعالى وإن الله تعالى أعطاه كساء الصحة والعافية وهذا أكبر وأفضل رزق من الله تعالى وهو بدوره يبحث عن الرزق ويتعذب ويعاني من أجل الحصول عليه ، ويقنعه بأن الإنسان الغني والمترف مهما حصل على أموال ومهما أعطاه الدهر فهو مسلوب وزائل ولا فائدة من وجوده معه.

---

1) الديوان، ١١١١/٣،

2) الديوان، ١٨٧/١.

وقوله عن الرضا والقناعة بما أعطاه الله تعالى يقول:

الحمد لله لاشريك لـــــــــــــهُ مدبِّرِ الامر، مُنزل القطْــرِ[1]

وشكرُها ذاك أن تقـــــــيل وأن تصفح ياذا السناء والفخــرِ

يا أكمل الناس في فضـــــــــائله من أهل بدو وساكني حضرِ

بحق من توجَب الحقوقُ لـــــــهُ من ها شمييك أنجم الدهــر

وهبت شطر الرضا له فهب الـــ كل فليس الكمال في الشطر

وفي قوله عن القناعة والثقة برزق الله الذي قدره أيضا :

أخالقي ربُ، ورب رازقي وما رازقي- تالله- إلا خالقي[2]

فلا تشوه خلتي خلائـــــقي ولا يعوج طمعي طرائـــــقي

1) الديوان،ج٢،ص١٢٧

2) الديوان،ج٢،ص ٤٨٤.

هـ. الشؤم و ذم الحياة:

ابن الرومي متطير متشائم بطبعه فلا عجب أن أشعاره مبنية علـــى تـــشاؤمه وسخطه؛ فهو مثلاً يعزو مصرع بُنية سقطت عن السّطح، في مهرجان أقامه أبوها، إلى مشهد الحول والعور[١]، إذ يقول:

فتحك المهرجان بالحول والعوــــ ر أرانا ما أعقب المهرجان

كان من ذاك فقدك ابنتك الحـــــر رة مصبوغةً بها الأكفانُ[٢]

ومن هنا غلب عليه التشاؤم[٣]، إذ يقول:

والشرُّ بين الناس مشتركُ والخير فيهم غيرُ مشتركِ

وأخذ يسوغ قعوده وكراهيته السّفر، فيدعو ممدوحه إلى الكفّ عن لومه على هذا القعود؛ فالقعود لا يعني الإخفاق، كما أن الترّحال لا يعنـــي الكـــسب دائمـــاً٤، فيقول:

دع اللّوم إنّ اللوم عونُ النوائبِ ولا تتجاوز فيه حد المعـــــــــاتب

فما كلّ منْ حطَّ الرحال بمخفق ولا كلُّ من شدّ الرّحالَ بكاسبِ[٥]

---

1) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت.ص ١٦٦

2) الديوان،تحقيق حسين نصار ٢٤٥٣/٦.

3) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت.ص ١٧٢

4) المصدر السابق .

5) الديوان، ٢١٣/١. .

وقوله في تسخطه من الدهر الذي يرفع الوضيع ويخفض الرفيع :

رأيتُ الدّهر يرفعُ كلّ وغدٍ ويخفض كلَّ ذي شيم شريفــهُ

كمثل البحر يغرق فيه حيٌّ ولا ينفكُّ تطفو فيه جيـــــفه[١]

قوله:

الأرضُ في أفعالها مضطرة والحيُّ فيه تصرّفُ المختـــــارِ[٢]

وقوله:

فضلْنا بإيثار الجميل وفعله ونحن سواء والبهائم في الأكل[٣]

والإنسان هنا ترفعه قوة عاقلة فوق مرتبة الحيوان، يؤثر بها الجميل وفعله[٤].

وقوله:

بلوتُ طعومَ النّاسِ حتى لو أنّني وجدتهم أحلى مذاقاً من الشَّهدِ

لقد آنَ أنْ أسلاهم وأملَّهمْ فكيف وما لاقيتُ منهم أخا رُشدِ؟

وكيف وقد جرّبت من طبقاتهم تجاريبَ تدعو النفسَ منهم إلى الزّهد [٥]

---

1) المصدر نفسه، ١٥٩٢/٤ .
2) المصدر نفسه، ٩٣٠/٣ .
3) الديوان، ٢٠٠٠/٥
4) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت ، ص ١٧٢
5) المصدر نفسه،٩٣٢/٣.

فالشاعر اختبر الناس من حوله وذاق منهم وجرب حتى اقتنع بوجوب الابتعاد عنهم فليس فيهم من يؤاخيه لهدف راشد فهذا دعاه للزهد فيهم وحض نفسه على الاعتزال والانكفاء على نفسه .

ولذمه للدنيا وشؤمه من الحياة صور تعددت في زهدياته ومنها :

١- تصوير نكد الدنيا وشقائها :

تحدّث عن نكد الدنيا، فبيّن أنها دار شقاء، وأننا صائرون فيها إلى زوال[١]، فيقول:

إنّما هذه الحياةُ غـــــــــرورُ وشقاءُ للمعشرِ الأشقيـــــــاءِ

نحن فيها ركبُ نؤمٌ بـــــــلاداً فكان قد ألنا إلى الانتـــــهاءِ

ما عسى نرتجي ونحن مع الأمـــ ــوات يُحدى بنا أحثَّ الحُداءِ[٢]

ويتضح هنا تأثر الشاعر بالقرآن الكريم والحديث الشريف؛ فقد أخذ الشطر الأول من بيته الأول من قولـــه تعـــالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[٣] وأخذ البيت الثاني من الحديث الشريف: (ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكـــب استظلّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها)[٤] وهو معنى يكرره في الديوان.

---

1) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت، ص ١٧٤.

2) الديوان، ١/١١٩.

3) سورة الحديد، ٥٧/٢٠.

4) سنن ابن ماجه، ٢/١٣٧٧.

٢- الدعوة إلى وجوب التخلّي عن لذاذات الدنيا وزخرفها لنيل ثواب الآخرة :

يقول في أبيات يبدو الصّدق في حواشيها، فيقول:

حتى متى نشتري دنيا بآخرةٍ سفاهةّ، ونبيعُ الفوق بالـــــــــدون؟

مُعلَّلين بآمالٍ تُخـــــادعُنا وزخرفٍ من غرور العيش موصونِ[١]

فهو يدعو الإنسان ويأمل منه الابتعاد عن شهوات الدنيا والاســتغراق فيهــا وعدم بيع الآخرة من أجل الدنيا ومتاعها الزائل ، ويدعوهم لعدم الغرور وألاتخدعهم الآمال والزخارف وغيرها من رغد العيش الدنيوي الزائل .

٣- ذم سعي الإنسان في الدّنيا وجمعه المال وبنائه المعاقل والحصون[٢]

ويتضح جليا في مثل قوله:

نبني المعاقل والأعداءُ كامــنةُ فينا بكلّ طرير الحدَّ مسنــون

ونجمعُ المالّ نرجو أنْ يخلّدنا وقد أبى قبلنا تخليد قارونِ[٣]

هنا نرى ذمه للإنسان الذي يقوم بجمع الأموال والقيام ببناء القصور والــدور الزائلة التي لا تدفع عنه شيء عندما يخلى وحيدا في قبره .

---

1) الديوان، ٢٤٦٤/٦.

2) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت، ص ١٧٤.

3) الديوان، ٢٤٦٥/٦.

ومن قوله في ذمه للبخل وللإنسان الذي يسعى لجمع المال :

فيم اجتهادي في محاولة الغـــــنى وما للغنى عند الجواد به قدر[١]

يفوز بجمع المال من كان باخـــلا ومالي إلا الحمد من ذاك والشكر

وما أنا إلا محرز المجد والعـــلا وذلك كنزي لا اللجـــــين والتبر

وإن يقضِ لي الله الرجوع فإنـــه علي له ألا أفارقكم نـــــــــذر

فما العيش إلا قرب من أنت آلف وما الموت إلا نأيه عنك والهجر

وكما في قوله لذمه للمال أيضا:

ألم ترّ أن المال يهلك أهلـــــه إذا جم آتيه وسد طريقـــــه[٢]

ومن جاور الماء الغزير مجمه وســـد سبيل الماء فهو غريقه

وفي ذمه للزمان نراه يقول :

سوءة للدهر إذ يـــــخْـــ لط إخلاصي بغيـــرهْ [٣]

ماعليه لو كفاني الـــــــ قوت، ياقلة خيـــــــره

---

1) الديوان، ج٢،ص١٤٣

2) الديوان ، ج٢،ص٤٦٢.

3) الديوان، ج٢،ص٤٠

و- بث الزهد من خلال حكمته :

أكثر ابن الرومي – في شعره – من الحكمة، وهي كثيراً ما تأتي في مقطوعات تقع بين البيتين والأربعة ولا تتجاوز ذلك وقد تأتي أحياناً منثورة في تضاعيف قصائده[١] وهي عصارة مطارحة الدنيا وخلاصة تجربة مريرة مع الحياة فيبث زهده من خلالها .

وهو لا يحصر حكمته في بيت واحد، بل يعقب عليها بأبيات تليها، مما أفقدها جمالها الفني، وقلل من سيرورتها. وبذلك ابتعد عن العرب " الذين لا تروقهم الثرثرة، ولا يحبون إلا الإيجاز[٢]"

ومن خلال حكمته ينثر شيئا من الدرر الزهدية التي أملتها تجارب الحياة ونوائب الزمن ويبدو ابن الرومي في حكمه بمظهرين متباينين : مظهر سلبي اصطبغت فيه حكمته بالتشاؤم والسّوداويّة وكراهية الناس، في مثل قوله:

ألا إنّما الدّنيا كجيفة ميتة وطلابها مثل الكلاب النواهس[٣]

وهذه صورة قبيحة مفّردة للدنيا وأهلها.

---

1) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت، ص ١٧٧.
2) مارون عبّود، الرؤوس، ١٥٠.
3) الديوان، ١٢٢٨/٣.

وقوله:

رأيتُ الدّهر يرفعُ كلّ وغدٍ ويخفض كلَّ ذي شيم شريــفه

كمثل البحر يغرق فيه حيٌّ ولا ينفكُّ تطفو فيه جيـــــفه [١]

فالإنسان إنما يرفعه ويخفضه الدّهر، ولا إرادة له.

وفي قوله :

أو الميزان يخفض كل وافٍ ويرفع كل ذي زنة خفيفه [٢]

كذلك دأبه فينا وإنـــــــــا على ماكان في حصن منيفــه

والثاني :مظهر إيجابي اصطبغت فيه حكمته بالتروّي والتعقّل والتفاؤل وحبّ الإنسان[٣]، في مثل قوله:

الأرضُ في أفعالها مضطرة والحيُّ فيه تصرّفُ المختارِ[٤]

وقوله:

فضلْنا بإيثار الجميل وفعله ونحن سواء والبهائم في الأكل[٥]

والإنسان هنا ترفعه قوة عاقلة فوق مرتبة الحيوان، يؤثر بها الجميل وفعله[١].

---

1) الديوان، ١٥٩٢/٤.
2) الديوان، ج٢،ص٤٢٢
3) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت.ص ١٧٧
4) الديوان، ٩٣٠/٣
5) الديوان، ٢٠٠٠/٥.

وقوله:

النفـــــسُ خيـــــرك إنّها عُلوية والجسم شرُّك ليس فيه تمـــارِ

كنْ مثل نفسِك في السموّ إلى العلا لا مثل طينة جسمك الغــدّارِ[٢]

وهو هنا ينقل الإنسان من الطين إلى النور، ويسمو بـــه مـــن الأرض إلـــى السّماء.

ولا غرو في أن تتّصف حكمته هنا بالرؤيـــة الـــشمولية والنظـــرة العميقـــة الموغلة، في حين تفتقر إلى ذلك في مظهرها الأول؛ نظراً لانشغاله بشؤون الحيـــاة وضروراتها الملحّة، وحرمانه من متعها ولذاتها[٣] "على أنّ حكمته في الأعم الأغلب غريبة النّسج مضطربة الألوان.

وقد يبني حكمته على عقله المفكّر وبصيرته النافذة، فيقول:

نارُ الروية نارُ جدٌّ منضجةٍ وللبديهة نارُ ذاتُ تلويـــــــــحِ

وقد يُفضّلُها قوم لعاجلهـــا لكنه عاجلُ يمضي مع الرّيح [٤]

---

1) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت ص ١٧٨.

2) الديوان،٣/٩٣٢.

3) علي شلق، ابن الرومي،٩٣٠.في الصورة والوجود ط١

4) الديوان، ٢/٥٦٧.

ترسّم ابن الرومي خطا بشّار في رسم صورة الصّديق، إذ يقول :

فاصطبرْ للصّديق إن زل أو جا ر برجل عن الهدى نكبـــاء

فهو كالماء هل رأيت معين الـــ ماء يعفى من نطفةِ كدراءٍ[1] ؟

يشبه الصديق الوفي بالماء الصافي الغير مكدر واذا جاءت نقطة تكدر صفوه يوماً فإنه يعفيه ويصبر عليه حتى يصفو ويرجع إلى طبيعته المعتادة وتهـدأ نفـسه ويدعو إلى الصبر على الصديق إذا زل أو أساء إليه فـلا بـد لـه مـن الرجـوع والاعتذار منه.

لكنه يقصّر عنه ولا يبلغ شأوه؛ فالبيت الثاني مستمدٌّ من قول بشّار:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربهْ[2]؟

غير أنّ ابن الرومي يتخطى هذا المعنى التقليدي، فينسج على منواله الخاص به، حين يلمّ بحقيقة الصديق الملول، فلا يجد فيه إلا الغدر، ولا يجد فـي عتابـه إلا حروفاً مخطوطةً على صفح من الماء(٣) فيقول:

ما للملولِ وفاءُ في مـــودّته قلبُ الملولِ إلى هجْرِ وإقصـــاءِ

---

1) الديوان، ١١٩/١.

2) بشار بن برد، ديوان، ٣٠٥/١. مقدمه وشارحه محمد الطاهر بن عاشـور ١٩٦٦م،القاهرة،مطبعـة لجنـة التأليف والترجمة والنشر.

3) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت.ص ١٨٠

كأنّني كلّمنا أصبحتُ أعتــبهُ أخطُ حرفاً على صَفْحِ من الماء[١]

وتناول في ديوانه ستر العيوب[٢] وكيف يجرّ الهوى ستر العيوب، كما تستر المرآة الصدئة خدوش الوجه، فلا يرى الإنسان عيوب نفسه[٣]، إذ يقول:

قد تسترُ المرآةُ عنـــــ ـــكّ خدوشَ وجهكَ معْ صَداها

وكذاكَ نفسُكَ لا تُريــ ـــكّ عيوب نفسكَ معْ هواها [٤]

وهنا نجد ضرورة شعرية يكثر رصدها في شعر الزهد لدى ابن الرومي وهي تسكين الحرف الأخير من الكلمة المعربة لضرورة الوزن وهو أمر يعاب على شاعر بقامة ابن الرومي لتمكنه من ناصية الشعر .

---

1) الديوان،١/١٣٢.
2) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت. ص ١٨٠
3) المصدر السابق .
4) الديوان، ١٤/١٣٢.

ز- الخوف من الموت وأهوال يوم القيامة:

ولابن الرومي آراء وخواطر في الحياة والموت، ونظرات في النّاس ضمّنها في كثير من أبياته الزهدية وأبرزها :

أ- تناول الموت وما يحدث للإنسان في قبره وأهوال يوم القيامة:

لابن الرومي أبيات يذكر فيها الموت[1] وملاحقته للإنسان وهو يأكل من عمره يوماً فيوماً حتى تكرّ عليه ساعة الفراق، فيقول:

والدّهرُ يُبلي الفتى من حيث يُنشئه حتى تكُرَّ عليه ليلة القـــرَبِ

يغذوه في كل آنٍ وهو يأكُلُـــه ويحتسي نغباً منه على نغـــبِ

يودي بحالٍ فحالِ من شبيبتـــه تسرُّبَ الماء من مُستأنف الكُتب

حسبُ امرئ من جنّى دهرٍ تطاولهُ وإن أجمَّ فلم ينكبْ ولم يُنـــبِ

في هُدنةِ الدَّهرِ كافٍ من وقائعــه والعمر أفدحُ مبراةً من الوصبِ[2]

فيصور هنا الدهر الذي يبلي بحيوانا مفترسا يأتي إلى الإنسان في كل آن فيأكل منه، ويستنزفه وكأنه يحتسي شراباً بتؤدة، ويشبّه تسرّب الشباب بتسرّب الماء من الرّمل. ثم نراه يصوّر بقاء الإنسان زمناً طويلاً وما يصاحب ذلك من معاناة أشدّ من معاناة أشدّ ألما من تقطيع السكين لجسمه.

---

1) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت.ص ١٨١

2) الديوان، ١/١٩٠.

فمهما يعمل الإنسان من أعمال شريرة أو خيرة فإنه مفارق لا محالـــة ، وإن ذلك الوحش قاض عليه ولا مفر منه ، فلا بد من الفراق ولكن في الموعد الذي كتبه الله تعالى له ، فلا تقديم ولا تأخير .

وله موعظة بديعة يتحدّث فيها عن الموت؛ فيمثّل نزوله بالنّبل الذي يـــصيب هدفه، ليجعل منه عظة وعبرة للناس. ومن ثم يحث على ترك البطالـــة والغـــيّ، إذ يقول:

نبلُ الرّدي يقصدْنّ قصدَكْ فأحدَّ قبل الموت حـــــدّك

قد عدّ قبلك مَنْ رأيـــــــ ـــتَ ولستَ تلبثُ أنْ يَعُدّك

فدَع البطالة والغـــــــوا ية جانباً وعليك رشْـــدَك[1]

ونراه يصوّر ما يحدث للإنسان بعد موته، إذ يحلّ في قبره، وقد خلا به ملكا الموت، وسلاه الأهل وانصرفوا إلى ما جمعه من مال، بعد دفنه في القبر حيث يفنى وتأكله الديدان،[2] بقوله:

وخلوتَ في بيـــــتِ البلى وخَلا بِك الملكان وحْـــدكْ

وسلاك أهلُك كلُّـــــــهم ونسوا على الأيّام عهـــدكْ

يتمتعون بـــــما جمعْـــــ ـــتَ ولا يروْنَ عليه حَمْدَكْ

---

1) الديوان، ١٨٦٩/٥.

2) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت ص ١٨٨

مُتمهَّدون وأنت تحـــــــ تَ الرَّمس يرعى الدّودُ جلْدَكْ

قد سلّموكَ إلى الضّريــ ــحِ ووسَّدوا بالتُّربِ خَدَّكْ[1]

وهذه معانٍ إسلامية معروفة دارجة يتناولها الوعاظ والنساك في مجالس تذاكرهم. ففي هذه الأبيات يتحدث الشاعر عن الأحوال التي يمر بها الإنسان حال وفاته بأنه سيبقى وحده في القبر ولا يوجد معه أحد يؤانسه في وحدته وبعد حلوله في قبره يذهب أهله عنه وينسوه كأنهم لم يعش معهم ويتركوه في خلوته ويعيشون حياتهم ويتمتعون بالأموال والنعيم الذي تركه وراءه فلا حمدا ولا شكورا ، وأنت وحدك فقط تحت الثرى يأكل الدود جسدك وجلدك بعد ما أغلقوا أبواب القبر عليك وأهالوا عليك التراب وذهبوا .

1) الديوان، ١٨٦٩/٥، ١٨٧٠.

ب- الحديث عن نعيم الآخرة :

تحدّث عن نعيم الآخرة، وحنينه إلى الجنة، وبيَّن حياة الأولياء الصالحين فيها[1]، إذ يقول:

قد تعالوا على أسـرةِ در لا بسين الحرير والأرجـوانا

وعليهم تيجانُهم والأكـاليـ ـلُ تُباهي بحُسنها التّيجـانا

يتعاطَونها سُلافا شمـولاً في جنان مجاوراتِ جِنـانا

ثم آبوا فاستقبلتهم حِـسانُ من بنات النّعيم فُقْنَ الحِسانـا

بوجوهٍ مثل المصابيح لا يعـ ـرفْنّ إلا الظّلال والأكنانـا

فتلقينهم بأهلاً وسهـلاً رافعاتِ إليهم الرّيحانـا [٢]

يتحدث شاعرنا الزاهد في هذة المقطوعة عن نعيم الجنة وما فيها من خير وراحة وجمال وهذا كله من نصيب الصالحين ويصفهم بأنهم متعالين على سرر مصنوعة من الحرير والسندس وتتعالى رؤوسهم بتيجان في غاية الروعة والجمال وبيوتهم الجنات التي تجاورها جنات ورفيقاتهم في دارهم الحور الحسان الجميلات اللواتي يشبهن النور وضوء المصابيح بروعة جمالهن ومن عفتهن لايعرفن سوى

---

1) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت.ص ١٨٨

2) الديوان، ٦/٢٦٠٠.

الأكناف البعيدة عن الأعين في حين أن الحسان تلاقيهم وتستقبلهم بالترحيب والمسك والريحان فيا لها من عيشة هانئة منعمة .

الفصل الثاني :

الدراسة الفنية

المبحث الأول: تأثر زهديات ابن الرومي بالقرآن الكريم والحديث النّبوي:

لم نجد شاعرا ولا كاتبا ولا أديبا إلا وقد تأثر ببلاغة القرآن وفصاحته وبلاغته وسحر أسلوبه ، وبأسلوب سيّد الخلق محمد صلى الله عليه وسلّم ، وكلنا يلمس هذا التّأثر ويراه إمّا لغويا أو بالاقتباس المباشر منه ، ولانكاد نجد شاعر زهد إلاو وجدت في أبياته أوقصائده تأثرا بهذا الكتاب العظيم ، أو بأحاديث النّبي صلى الله عليه وسلم لشدّة ارتباطهما بموضوعات زهدهم .

ومن الذين تأثّروا بأسلوب القرآن وفصاحته وبأحاديث النّبي صلى الله عليه وسلم الشّاعر ابن الرّومي يقول ابن الرومي في إحدى قصائده:

قد تعالوا على أسـرةِ در لا بسين الحرير والأرجوانا

وعليهم تيجانُهم والأكاليـ ـلُ تُباهي بحُسنها التّيجانا

يتعاطَونها سُلافا شمولاً في جنان مجاوراتِ جِنانا

ثم آبوا فاستقبلتهم حِسانُ من بنات النّعيم فُقْنَ الحِسانا

بوجوهٍ مثل المصابيح لا يعـ ـرفْنّ إلا الظّلال والأكنانا

فتلقينهم بأهلاً وسهلاً رافعاتِ إليهم الرّيحانا [1]

1) المصدر نفسه، ٦/٢٦٠٠.

وهذه معانٍ مستمدّة من القرآن الكريم؛ فالبيت الأول مستمد من قوله تعالى: ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾[2] وأخذ معنى خمر الجنّة في البيت الثالث من قوله تعالى: ﴿ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾[3]، واستمد أوصاف الحور العين في البيتين الرّابع والخامس من قوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾[4] و﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾[5] وأخذ معنى رفع الرّيحان في البيت الأخير من قوله تعالى: ﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾[6].وقوله:

إنّما هذه الحياةُ غـــــــرورُ وشقاءُ للمعشرِ الأشقيـــــــاءِ
نحن فيها ركبُ نؤمٌ بـــــلاداً فكان قد ألنا إلى الانتـــــهاءِ
ما عسى نرتجي ونحن مع الأمـــ ـــوات يُحدى بنا أحثَّ الحُـداءِ[7]

يعبر الشاعر في هذه الأبيات عن المرحلة التي يعيشها الإنسان يعيش وكأنه "عابر سبيل"، وأن هذه الدنيا والحياة بكل ماتحويه غرور وشقاء وتعاسة، والإنسان نهايته في هذه الحياه المليئة بالغرور والشقاء هي الموت.

1) سورة الصافات، ٣٧/٤٤،٤٣.
2) سورة الحج، ٢٢/٢٣.
3) سورة محمد، ٤٧/١٥.
4) سورة الواقعة، ٥٦/٢٢.
5) سورة الرحمن، ٥٥/٧٢.
6) سورة الواقعة، ٥٦/٨٩.
7) المصدر السابق.

ويتّضح هنا تأثر الشّاعر بالقرآن الكريم والحديث الشّريف؛ فقد أخذ الشّطر الأول من بيته الأول من قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[1] وأخذ البيت الثّاني من الحديث الشّريف: (ما لي وللدنيا، ما أنا في الدّنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرةٍ ثم راح، وتركها)[2] وهو معنى يكرّره في الدّيوان.

من ذلك قوله في وصف زاهد:[3].

باتَ يدعو الواحد الصّمدا في ظلام الليل منفردا
خادمُ لم تبقِ خدمته منه لا رُوحاً ولا جسداً
قائلُ: يا مُنتهى أملي نجّني مما أخافُ غدا
أنا عبدُ غرَّني أمَلي وكانَّ الموت قد وردا
وخطيئاتي التي سلفت لستُ أحصي بعضها عددا

فالشطر الأول من الأبيات معنى مستمد من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾[4].

وقوله :

إذا ما كساك اللهُ سربالّ صحّة ولم تخلُ من قوتٍ يجلُّ ويعذبُ
فلا تغبطنَّ المترفين فإنّهم على حسب ما يكسوهم الدهر يسلُبُ [5]

وهما بيتان استمدّ معناهما من الحديث الشريف: " نعمتان مغبونُ فيهما كثُيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغ[1]"

---

1) سورة الحديد، ٢٠/٥٧.
2) سنن ابن ماجه، ١٣٧٧/٢.
3) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت.ص ١٩٠
4) سورة الإخلاص٢،١
5) دبوان ابن الرومي، ١٨٧/١.

المبحث الثاني: القصيدة الزهدية ذات الموضوع الواحد والأبيات الزهدية المكملة :

تنوع الزهد في ديوان ابن الرومي بين قصائد زهدية ذات موضوع زهدي واحد لا تغادره لغيره وبين أبيات زهدية متناثرة في ثنايا أغراض أخرى وهو الجانب الأشيع والأغزر في الديوان فيكون الزهد مكملا للغرض الذي بنيت له القصيدة كغرض الرثاء والشكوى والحكمة والاسترفاد فقصائد ابن الرّومي الزهدية عندما تتطرق لموضوع الزّهد فإنّها لاتغادر الموضوع الّذي بدأته إلى موضوع آخر، بل تخوض في موضوع زهدي واحد ؛ فمثلا عندما يتحدث عن الجنّة لا يتحدث في موضوع غيره، وإذا تحدث عن الموت ، وأهواله فإنه لايتطرق إلى موضوع غيره.

قال ابن الرومي – من مجزوء الكامل في قصيدة :[٢].

ترحـــاً لـــدار إنما ســـــكانها رفق مخبـه

تقتـادهم نحو الـردى طرق إليـــــه مسـتتبه

فهذه القصيدة تتحدث عن الدّنيا ولاتغادر هذا الموضوع إلى موضوع آخر.

وكذلك نجد الأمر في هذه النّماذج فهي تعالج موضوعا واحدا فقط:

قال من البسيط : [٣].

---

1) النووي، رياض الصالحين، ١/١١٨.
2) ديوان ابن الرومي ج/١/ ص /١٧٨/
3) ديوان ابن الرومي ج/٦/ /٢٥١٦-٢٥١٧/.

كيف العزاء وما في العيش مغتبط ولا اغتباط لأقوام يموتونـــا ؟

متى تعش قبلي الأحياء يدركـــــنا وإن تمت قبلي الأموات يعفونا

لا بد من ميتة للمرء أو هـــــرم يظل منه جليد القوم موهونـــا

ويقول[1]:

تجافى جنوبهـــــــم عن وطيء المضاجع

كلهم بين خائـــــفٍ مستجيرٍ وطامـــــعٍ

يقول ابن الرومي : [2]

نبل الردى يقصدن قصدك فأحد قبل الموقت حـــــدك

فدع البطالة والغـــــواية جانباً وعليك رشـــــــــــدكْ

فكأنّني بك قد نعـــــــيت وقد بكى الباكونَ فقّـــــــــــدكْ

وخلَوْتَ في بيـــت البـــلى وخلا بك الملَكانِ وحـــــدكْ

وســـــلاك أهُـــــك كلُّهم ونسُوا عـــلى الأيامِ عـــهْدكْ

فهذه النصوص لا تغادر موضوعا لغيره فهي تدور في فلكه ، أما جانـــب الأبيـــات التي تكون من ضمن بناء قصيدة ذات غرض مغاير فهي تأتي استجابة لفكرة النص

1) المصدر السابق. ٤ – ١٣٥

2) المصدر السابق. ٥– ٢٧٧

الرئيسة ولا يتكلفها وخاصة كلما كان الغرض لصيقا بغرض الزهد كالشكوى والرثاء والحكمة فهي تلتقي مع الزهد في كونه تسخط ولوم على الزمن ونوائبه .

والعقّاد إذ يجعل ابن الرّومي متفرّدا عن بقية الشّعراء العرب في وحدة القصيدة يحاول أن يجعل هذه الوحدة في شعره مظهرا من مظاهر عبقريته اليونانيّة[1]. وليس ذلك صحيحا، فنحن نجد هذه الوحدة عند من سبقوه؛ مثل قصيدة الحطيئة في وصف الأعرابيّ الجواد الذي كان صاحب صيد[2]، وطرديات أبي نواس وكثيرا من خمرياته. والحقيقة أن "خضوعه للتّقاليد الموروثة في صنع القصيدة أعظم جدا من نزعته إلى الخروج على هذه التّقاليد[3].

ووحدة القصيدة تقوم على أساس تنمية الشّاعر لأقسام القصيدة تنمية عضوية، بحيث ينشأ كل جزء من سابقه نشوءاً طبيعيا مقنعا، ويستدعي الجزء الذي يليه استدعاءً. وقد أجمع النّقاد على هذه الوحدة؛ فأجود الشّعر عند الجاحظ ما كان "متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أُفرغ إفراغا واحدا، وسُبك سبكا واحدا".[4]

---

1) المصدر السابق ٧- ٦٩٩

2) ديوان الحطيئة، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص ٢٠٣.

3) محمد النويهي، ثقافة الناقد الأدبي، ٢٥٥مطبعة لجنة التأليف والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٤٩.

4) انظر: العمدة، ١٧١/١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٩٨١، جزءان.

وإذا كانت مطوّلاته تتميّز بتعدد موضوعاته فإنّ وحدة الموضوع تتجلّى في مراثيه، وبخاصة مرثيته الدّالية في ابنه الأوسط، وكذلك في غزلياته المستقلة وبخاصة داليته المشهورة في المغنية (وحيد)، فضلا عن مقطوعاته التي يزخر بها ديوانه، ومن طبيعة هذه المقطوعات أنها لا تتحمل أكثر من موضوع واحد. وقد شكلت هذه المقطوعات في شعر ابن الرّومي مظهرا من مظاهر الوحدة العضوية في البناء الشّعري. وأبرزت جوانب عديدة من حياته كان يعمد إلى إظهارها في شعره. ولا شك في أن هذه الوحدة تجلت أكثر ما تجلت في كثير من أهاجيه وأوصافه. وهو إن كان لا يختلف عن الشّعراء العرب في ذلك إلا أنه يتميّز عنهم.

لقد نظم ابن الرّومي ألفين وإحدى وأربعين قصيدة ومقطوعة، معظمها مستقلّ بذاته ينهض بغرض واحد دون مقدمات، وهناك قصائد طوال جاءت متعددة الأغراض، تنهج النّهج التّقليدي في بنائها، فتحتوي على مقدمة وعرض وخاتمة.

"كان ابن الرّومي ضنينا بالمعاني حريصا عليها، يأخذ المعنى الواحد ويولّده، فلا يزال يقلّبه ظهرا لبطن ويصرّفه في كل وجه وإلى كل ناحية، حتى يميته ويعلم أنه لا مطمع منه لأحد" [1]. وتبعه في ذلك ابن خلكان فقال: "هو صاحب النّظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعاني النّادرة فيستخرجها من مكانها

1) ابن رشيق، العمدة، ٢٣٨/٢. ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، بيروت، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٩٨١، جزءان.

ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقي فيه بقيّة").[1]

وعبّر المعاصرون عن هذه المقولة بصور مختلفة بدءا بالعقاد الذي جعل "شدة استقصائه المعنى، واسترساله فيه [2] من العلامات البارزة في قصائده ، وانتهاء بمارون عبود الذي يرى ابن الرّومي في إخراج صوره "كماص قصب السّكر يظلّ في عراك مع تلك الألياف حتى يمتصها"[3].

1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٦٨-١٩٧٢، ٣٥٨/٣.
2) المصدر السابق .
3) مارون عبود، الرؤوس، ١٤٩. دار الثقافة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦.

المبحث الثالث : السمات الفنية والأسلوبية لشعر الزهد عند ابن الرومي :

أ- التّصوير في شعر الزهد لدى ابن الرّومي:

التّشبيه كان هو السمة السائدة في الصور الزهدية لدى ابن الرومي وعنصر قائم على خيال الشّاعر ،وهو لبّ المحاور الفنية في التّصوير[١] وقد أدرك ابن رشيق ضرورة توافره في صناعة الشّعر حتّى يعدّ الشاعر شاعرا،ولهذا ذكر أنّ ابن الرّومي أولى الناس باسم شاعر؛ لكثرة اختراعه وحسن افتنانه[٢].

ابن الرّومي كان فنانا بارعا بما أوتي من ملكة التّصوير ولطف التّخيل والتّوليد وبراعة اللعبة بالمعاني والأشكال . وهذا يؤكد أنه ليس من الضّروري أن يكون كل هجاء خارجا على المجتمع مبغضا لكل ما فيه فابن الرّومي لم يكن كذلك ولكنه كان ناقدا شديد الحساسية يثور على ما لا يعجبه[٣].

يصور ابن الرومي هنا الموت وملاحقته للإنسان وهو يأكل من عمره يوماً فيوماً حتى تكرّ عليه ساعة الفراق ولحظة الوداع ، فيقول:

والدّهرُ يُبلي الفتى من حيث يُنشئه حتى تكُرَّ عليه ليلة القـــــرَبِ

يغذوه في كل آن وهو يأكُلـــــه ويحتسي نغباً منه على نغـــــبِ

---

١) علي أبو زيد: الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي،ص٢٥٢.

٢) ابن رشيق : العمدة ج٢،ص٢٨٦ ابن رشيق ، أبو علي ، الحسين بن رشيق ، ت(٤٥٦هـ) ،العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، حققّه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢،٢ج ،مطبعة السعادة ، مصر ،١٩٦٤ م .

٣) عبد الحميد محمد جيده : الهجاء عند ابن الرومي ص١١٤. منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

يودي بحالٍ فحال من شبيبـــــــته تسرُّبَ الماء من مُستأنف الكُتــب

حسبُ أمرئ من جّنى دهرٍ تطاولهُ وإن أجمَّ فلم ينكبْ ولم يُنـــــــبِ

في هُدنةِ الدَّهرِ كافٍ من وقائعــه والعُمر أفدحُ مبراةً من الوصبِ[1]

فهو يعمد إلى التّصوير؛ فيشخّص الدهر، بجعله حيواناً مفترســاً يــأتي إلــى الإنسان في كل آن فيأكل منه، ويستنزفه وكأنه يحتسي شراباً بتؤدة، ويشبّه تــسرّب الشّباب بتسرّب الماء من الرّمل. ثم نراه يصوّر بقاء الإنسان زمنــاً طــويلاً ومــا يصاحب ذلك من معاناة أشدّ من معاناة أشدّ ألما من تقطيع السّكين لجسمه.

وهنا يصور نزول الموت؛ فيمثّل نزوله بالنّبل الذي يصيب هدفه، ليجعل منه عظة وعبرة للناس. ومن ثم يحثهم على تراك البطالة والغيّ، إذ يقول:

نبلُ الرّدى يقصدْنّ قصّدكْ فأحدَّ قبل الموت حـــــدّك

قد عدّ قبلك مَنْ رأيـــــــــ ـــتَ ولستَ تلبثُ أنْ يَعُدّك

فدَع البطالة والغـــــوا ية جانباً وعليك رشْــدَك[2]

ونراه يصوّر تصويرا واقعيا ما يحدث للإنسان بعد موته، إذ يحلّ في قبــره وقد خلا به ملكا الموت، وسلاه الأهل، وانصرفوا إلى ما جمعه من مال، بعد دفنــه في القبر حيث يفني وتأكله الديدان، بقوله:

وخلوُتَ في بيـــــتِ البلى وخَلا بك الملكان وحْـــــــدكْ

---

1) ديوان ابن الرومي ، ١/١٩٠.

2) المصدر نفسه، ٥/١٨٦٩.

وسلاك أهلُك كـــــــلُهُم ونسوا على الأيّام عـــــــهدكْ

يتمتعون بـــــــما جمعْـــ ـــتَ ولا يروْنَ عليه حَمْـــــدَكْ

مُتمهَّدون وأنـــــت تحـــ ـــتَ الرَّمس يرعى الدّودُ جلْدَكْ

قد سلّموكَ إلى الضّرربـــ ـــح ووسَّدوا بالتُّربِ خَـــــدَّكْ[1]

ونراه يصور نعيم الآخرة، وحنينه إلى الجنّة، وبيَّن حياة الأولياء الـــصّالحين فيها[2]، تصويرا جميلا تخيليا بناء على التصوير الإسلامي في القرآن إذ يقول:

قد تعالوا على أسرةِ در لا بسين الحرير والأرجوانا

وعليهم تيجانُهم والأكاليـــــــ ـــلُ تُباهي بحُسنها التّيجـــانا

يتعاطَونها سُلافا شمـــــــولاً في جنان مجاوراتِ جِنـــــانا

ثم آبوا فاستقبلتهم حِـــــسانُ من بنات النّعيم فُقْنَ الحِســـانا

بوجوهٍ مثل المصابيح لا يعـــ ـــرفْنّ إلا الظّلال والأكنـــانا

فتلقينهم بأهلاً وسهـــــــــلاً رافعاتِ إليهم الرّيحـــانـــــا[3]

ويعتمد ابن الرّومي أيضا على صور تخيلية إيحائيـــة،كنوع مـــن الكنايـــة أو التّورية فيعرض شيئا وهو لا يقصده لذاته بل يريد شيئا آخر يجانـــسه بـــالقرب أو البعد وقد تكون كل لفظة في حدّ ذاتها موحية بالصّورة، كما يكون التّركيب موحيـــا،

---

1) الديوان، ١٨٦٩/٥، ١٨٧٠

2) أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه(اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت.ص ١٨٣

3) المصدر نفسه، ٢٦٠٠/٦.

وقد لا تكون الصّورة حصيلة اللفظة الواحدة أو التّركيب، بل من شيء يمـــوج فـــي ذهـــن الشّاعر،لم يصرّح به،وإنّما لمّح إليه في أثناءالعرض[1].

فالتصوير الزهدي لديه تصوير واقعي لمشاهد زاهـــدة أو مـــشاهد تائبـــة أو تصوير لغيب متحقق وقوعه أو تصوير للدنيا والبـــشر والقـــدر بـــصور مكـــرورة كتصويرالدنيا بالجيفة وتصوير حال الإنسان بالراكب المسافر فهـــي صورمـــستهلكة وتجد مبالغة وتهويلا في بعض صوره خاصة في صور الشؤم وذم الحياة كتصويره لها بالجيفة وأهلها كالكلاب النواهس وهي صورة قبيحة فيها تهويل وتبشيع وكثيـــرا ما يشبه طلاب الدنيا بالكلاب والبهائم والحيوانات وهي صور تتكرر فـــي زهدياتـــه وصورة يكررها كثيرا وهي صورة البحر والدنيا واعتلاء الجيف .

---

١) علي شلق ابن الرومي في الصورة والوجود،ص٢٩٦. ، ط١، دار النشر للجامعيين ، ١٩٦٠م

ب-استخدام البديع في زهدياته :

مال الشّعراء في معظمهم إلى البساطة والتّلقائية،ولم يؤثروا التّصنع، ولم يعدوه فضيلة ترقى بالشّعر أو تزيده قيمته ، ولعلَّ ذلك ناجم عن الدّوافع التي خرجت عنها أشعارهم .فالشّعر الذي ينتقد واقعاً يصدر من نفسية غاضبة،جلّ همّها أن يصل شعرها إلى مبتغاه ، فلا تعبأ بالمحسنات، أو تسعى إليها.

وخرج من هؤلاء الشّعراء ابن الرّومي؛ لأنّه استخدم الصّنعة استخداماً واسعاً، مما يدلّ على أنه يقصد إليها دون شك، ومما أعانه على خفاء أمر صنعته في معظم الأحيان معجمه اللّغوي الواسع واقتداره على انتقاء الألفاظ في مواضعها بحيث لا نراها قلقه ، أو نحسّ فيها أثر الاضطراب والتكلّف .

في زهديات ابن الرومي كان جانب البديع طاغيا وظاهرا وخاصة المحسنات البديعية فمحسن الطباق عنصر أساسي في شعرالزّهد عند ابن الرّومي ، لأنه يستخدم بصفة خاصة عنصر التّقابل والتّضاد استخداماً ظاهراً وواسعاً ، ومنها قوله[1]:

خادمُ لم تبق خدمته منه لا رُوحاً ولا جسداً

ونلاحظ الطّباق في كلمتي روح وجسد.

حتى متى نشتري دنيا بآخرةٍ سفاهةً، ونبيعُ الفوق بالدون؟

---

1) ديوان ابن الرومي، ج ١،ص٣١٥.

مُعلَّلين بآمـــــــالٍ تُخادعُنا وزخرفٍ من غرور العيش موصون[١]

ويستخدم هنا الطّباق في كلمتي(دنيا وآخرة)و(الفوق ودون).

وإلى جانب الطّباق نجده يستخدم الجناس بكثرة،ومنها قوله[٢]:

والدّهرُ يُبلي الفتى من حيث يُنشئه حتى تكُرَّ عليه ليلة القـــــــرَبِ

يغذوه في كل أنْي وهو يأكُـــــــله ويحتسي نغباً منه على نغـــــــبِ

يودي بحالٍ فحالٍ من شبيـــــــبته تسرُّبَ الماء من مُستأنف الكُتــب

حسبُ امرئ من جّنى دهرٍ تطاولهُ وإن أجمَّ فلم ينكبْ ولم يُـــــــنبِ

في هُدنةِ الدَّهرِ كافٍ من وقائعــه والعمر أفدحُ مبراةً من الوصبِ

نلاحظ الجناس الناقص في قوله : (فلم ينكبْ ولم يُنبِ).

ولا ريب أن في شعر ابن الرّومي آثارا من البديع، كالجناس والطبـــاق، وأنّ في بديعه أحياناً بعض الإسراف. ألا أن بديع ابن الرومـــي مُـصادف لا منـــشود، يعرض للشّاعر فلا يرى بأساً من الأخذ به، أو لا يعرض فلا يسعى فـــي طلبـــه إلا نادراً لإبراز معنى دقيق، لا يتهيأ له إلا عن طريق البديع، وإلى جانب هذين اللونين يستعين

---

1) الديوان، ٢٤٦٤/٦.

٢) المصدر نفسه ،ج١،ص٩٠.

بالتّشبيه والمجاز والكناية، والتورية، بشكل لافت يساعده على إظهار قدراته على البيان والتّصوير ،وعلى الرّغم من ذلك ،فهو لا يلتقي مع شعراء عصره في اتجاهه الفني ، فهو لا يذهب مذهب أبي تمام باتّخاذ البديع طريقة للتّعبير،ولا يكد ذهنه في البحث عن المعاني ،ولا يجهد نفسه في البناء والصياغة، كذلك لا يذهب مذهب البحتري في الميل إلى الصياغة السهلة والبناء العربي الديباجة دون حاجة إلى إسراف في استخدام البديع .

ج- اللّغة عند ابن الرومي في زهدياته :

يقول ريفون جست[١]: "ولغة ابن الرّومي محكمة وألفاظه كثيرة ولكن أسلوبه عامة سهل، وعربيته كثيرة الشبه بالعربية الأدبية في هذه الأيام ،ولذلك يستطيع المثقفون من النّاطقين بالعربية الآن فهم قدر كبير من شعره دون مشقة كما يتضح من المقتطفات الكثيرة التي نشرها كامل الكيلاني والعقاد، واللذان قلّما شعرا بحاجتهما إلى إضافة كلمة لشرحها للقارئ واطّلاع ابن الرومي على الشّعر العربي، ساعده على التّجديد في شعره، وأساليبه وبنائه ،وربما كان ذلك سببا في نظمه الشّعر في سن مبكرة[٢]. وعلى الرّغم من قدرته على التّصوير إلا أن شعره يظهر سيطرة أسلوب النثر على الشّعر ،وذلك يعود إلى عاملين مهمين :الأول قوة تأثير الجاحظ على عصره ومن قبله ابن المقفع، والثاني:روح العصر الذي بلغ شأنا عظيما في مجال العلم وطرق الفكر ،وجاء شعره مكرورا وتفصيليا[٣]، ليس ابن الرّومي من تعييه القافية أو تضطره إلى غير ما يريد أن يقول، وإنك لتقرأ شعره فيخيل إليك أنه يتناول الألفاظ، ويقسرها قسرا على إعطاء المعاني التي يقصد إلى تبنيها"[٤]. أو بعبارة أخرى إنّه قادر على ألفاظه قدرته على معانيه.

ومع اتساع لغته وإحكامها في مظهرها العام، إلا أنها بدت أحيانا بسيطة وسهلة بنيت بناء الرّسائل، وقد ذكر ابن طباطبا أنّ هذا عيبا يقع فيه الشاعر

---

١) ابن الرومي ترجمة حسين نصار ص٨٧. رفون جست ، ، دار الثقافة ، بيروت٠

٢) انظر محمد زغلول سلام:دراسات من شعراء القرن الثاني- ص٣١٦. ، منشأة المعارف ، مصر.

٣) علي شلق:نقاط التطور في الأدب العربي،ص١٢٢. دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٥م.

4) المازني: حصاد الهشيم، ص٢٤٠ ، ط٧، المطبعة العصرية، مصر، ١٩٦١م.

،ويضعف شعره ،يقول : "فإنّ الشّعر إذا تأسس تأسيس فصول الرّسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلّة بذواتها ، والأمثال الموسومة باختصارها- لم يحسن نظمه"[1]. ومن خلال النماذج الزاهدة لديه لا نجد لغة مستعصية مستغلقة بل هي في مجملها لغة بسيطة سهلة رغم احتفائه بالمعنى أكثر من احتفائه باللفظ .

بين لغة أبي العتاهية و ابن الرّومي في قصائد الزهد:

نجد أن لغة ابن الرومي في زهدياته تكاد تقارب لغة أبي العتاهية رغم اختلاف الدافع واختلاف الرؤية واختلاف الأداء للمعنى الزهدي ، فاللغة تكاد تكون متقاربة في استخدام بعض الألفاظ أو بعض الصور التي تتعلق بالزهد أو المعاني الدارجة التي يطرقها الزاهدون ..

يقول أبو العتاهية (٣)

أنساك محْياكَ المماتا فَطَلَبْتَ في الدُّنيا الثَّبَاتا

أوثَقْتَ بالدُّنيا وأنْـ أمْ خِلْتَ أنَّ لك انْفلاتا

يا من رأى أبَوَيْهِ ما قد رأى كانا فماتا

لقد استخدم الشّاعر أبو العتاهية في الأبيات السابقة أسلوب الاستفهام، ليكون الخطاب أشد وقعا وأثرا في النّفس اللاهية عن ذكر الموت، ثم نراه استخدم كاف المخاطب في هذا الحوار مع الإنسان، واستخدم قافية التّاء مع ألف الإطلاق لتدل

---

١) ابن طباطبا: عيار الشعر ،ص١٢٦،١٢٧. ، القاهرة، ١٩٥٦.

٣) أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم ١٣٠-٢١٠هـ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٥

على انطلاق الإنسان في هذه الحياة والانفلات فيها وهذا الأسلوب أسلوب يعتمده ابن الرومي في زهده ولإيصال فكرته الزاهدة.

ويقول:[1]

كُلُنا في غَفْلةٍ والـــــــ مَوْتُ يَغدو ويَرَوحُ

نُحْ على نَفْسِكَ يا مِسـْ كينُ إنْ كُنْتَ تَنوحُ

لتَموتَنَ وإنْ عُمِّـــرْتَ ما عُمِّرَ نـــــوحُ

استخدم أبو العتاهية في هذه الأبيات التّفعيلات القليلة من بحر مجزوء الرّمل لتتناسب مع ما يحدث عنه من قصر حياة الإنسان مهما طالت، حتى لو بلغت حيـــاة نوح عليه السّلام فنجد كذلك ابن الرومي يحبذ البحورالقصيرة في زهده.

ومما يدل على صدق عاطفته في هذه الأبيات هو استخدامه لـــضمير جمـــع المتلكمين(نا)، فهو يتكلم عن نفسه أولاً، ثم عن غيره، ونراه بعد ذلك يوجه الخطاب لكل إنسان يغفل عن الموت ويصفه بالمسكين.

لقد أخذ أبو العتاهية فكرة أن الموت آت لا محالة لكـــل حـــيّ علـــى وجـــه الأرض، وإنّ الدّنيا دار بلاء وشقاء عناء، من سرّهُ زمن ساءته أزمان، والمغـــرور فيها من يظن أنّ القوة والصّحة دائمتين، فالمرء عليه أن يغتنم شبابه قبـــل هرمـــه،

1) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص ٩٨-٩٩.

وحياته قبل موته، فمن أراد الثواب فليقل خيراً أو ليصمت، وهذه أفكار تناولها ابـــن الرومي بوفرة فيقول أبو العتاهية[1].

مَنْ يعشْ يكْبُرْ ومن يكبر يَمُـــــــــتْ والمَنايا لا تُبالي مَـــــنْ أتَتْ

نَحَنُ في دار بـــــلاءٍ وأذى وشَقاءٍ وعَناءٍ وَعَنَـــــــتْ

مَنْزلٌ ما يثبت المَـــرْءُ بـــــــــــهِ سالماً إلا قليلاً إنْ ثَبَـــــــتْ

أيها المغرورُ ما هذا الصَّبا لَوْ نَهيْت النَّفسَ عَنْه لانتهَـــتْ

رَحِمَ الله امرأ أنْصفَ مِـــنْ نَفْسِهِ إذْ قال خَيْراً أوْ سكَـــتْ

استخدم الشّاعر أسلوب الشّرط ليؤكد للإنسان موته، واستخدم لذلك قافية التّاء السّاكنة لتتناسق مع الوضع، فالموت قريب من الإنسان، وهو أقرب إلى أحدنا مـــن شراك نعله، وكأس الموت لا بد لكل إنسان أن يشربه، وقال:[2]

ما أقْربَ الموْت مـــنّا تَجاوزَ الله عنّـــــــا

كَأنّه قـــــــــدْ سَقَانا بكأسِهِ حيثُ كُـــــنّا

إن الإنسان يأمل أن يخلد في هذه الدّنيا، ولا يدري أن الموت يقطع حبال هذا الأمل، ويقف له بالمرصاد، فإذا أمسى حيا فقد لا يعيش إلى الصّباح، وإذا أصبح فقد لا يعيش إلى المساء، يقول أبو العتاهية في ذلك :(٣)

أومِّلُ أنْ أخَلَّدَ والمَـــــنايا يَثْبْنَ عليَّ مِنْ كُلِّ النَّواحـــي

1) المصدر السابق ص ٥٥-٥٦.
2) المصدر السابق، ص ٣٩٦.
3) المصدر نفسه، ص ٩٩.

وما أدْري إذا أمْسيْتُ حيّا لعلّي لا أعيشُ إلى الصبَّـــاح

وهذه الأفكار والصور دارجة بغزارة في ماسبق من زهد ابن الرومي .

يكثر أبو العتاهية في شعره الزّهدي من التّعابير الدينية، ففي البيتين السّابقين كأنّي بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: " كن في الدنيا كأنـــك غريـــب أو عابر سبيل"[١] وهذا قريب من تعبيرات ابن الرومي واقتباساته من القرآن والسنة .

وقد أبدع أبو العتاهية بوصف الموت، حين يموت الإنسان وكأن الأرض قـــد احتوته صفر اليدين، وحيدا لا يجد إلا عمله، وكيف أن البكاء الأهل لا يغنـــي عنـــه شيئاً فلنتذكر الموت ونبكي أنفسنا ونسعد إخواننا قبل فوات الأوان، ففي ذلك يقول:[٢]

كأنَّ الأرْضَ قدْ طُويتْ عـــــليّا وقَدْ أخْرَجْتُ ممّا في يَدياّ

كأني قدْ صِرْتُ مُنفرداً وحيـــداً ومَرْتهناً لدَيْكَ بما عليَّـــــا

كأنَّ الباكياتِ عليَّ يومـــــــــاً ولا يُغني البكاءُ علىَّ شيّاً

ذكَرْتُ منيتي فبكيْيت نفســـــي ألا اسْعدْ أخيكَ يا أخّـــــيا

وقال أبو العتاهية:[٣]

وما المَوْتُ إلا رِحّلة غيرَ أنّهُ مِنَ المنزلِ الفاني إلى المنزل الباقي

---

1) البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، حققه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ج٧.

2) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص ٤٤٢-٤٤٣.

3) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص ٢٥١.

انظر: شامي، يحيى: أروع ما قيل في الشعر العربي، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٣، ج١، ص١٠١.

فاستخدم أداة الحصر" إلا" ليحصر الموت بأنّه رحلة، وليس نهايــة المطــاف بالإنسان، وإن من ينظر إلى الأموات عندما يوضعون في قبورهم فيقول في ذلك:١

وَعَظْتكَ إجداثُ خُفُتْ فِيهنَّ أجْسادُ سُبُــــتْ

وأرتكَ قَبْرُكَ في القُبو رِ وأنْتَ حيَّ لم تَمُتْ

يكفيك موعظة أيها الإنسان أن تشاهد الأجساد الميّتــة تلقــى فــي القبــور، فالموعظة للحيّ وليست للميّت، لقد ظلّ أبو العتاهية ثلاثين عامــاً يتغنــى بالكــأس الخالدة كأس الموت الدائرة على الخلق، فالكلّ مصيره إلى الفنــاء، والكــل وشــيك الزوال، والكل يصبح تراباً في تراب، فيقول:(٢)

لُدوا للمَوْتِ وابْنوا للخَــــرابِ فَكُلُّكم يصيرُ إلى ذهــــابِ

ألا يا مَوْتُ لمْ أرَ مِنْكَ بُــدّا أتيْتَ فلا تحيفُ ولا تُحابــي

كأنك قدْ هَجَمْتَ على مَشيبي كَما هَجَمَ المشيبُ على شبابي

لقد تنوع أسلوب أبي العتاهية في الأبيات السّابقة من الأمر إلى الاستفهام إلى النّداء، فالأسلوب الإنشائي في مثل هذه المواقف، وخاصة ذكر الموت، يشد الــسّامع والقارئ ويجعله أكثر خوفاً واعتبارا لما يجري حوله، ثم ينهــي هــذه المقطوعــة بتصوير الموت حين يهجم فجأة هجوم الشّيب على الشّباب، ويتقــدم أبــو العتاهيــة

---

1) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره، ص ٧٨-٢٥١.

ورد البيت الأول: وعظتك أحداث صمت وبكتك ساكنة خفت

– انظر: السعودي، أبو الحسين علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الشركة العالميــة للكتاب، ج٣، ط٢، ص ٣٥٩.

2) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره ، ص ٣٣.

ليوجع أكثر وبقدر أشدّ، ولا يفوته أن يغمز بمسؤولية الرّاعي والرعية، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، وإن الله سائل كلّ إنسان ما استرعاه يوم القيامة، كما نرى في المقطوعة الآتية، فيقول:[1]

يا راعيَ النفس لا تُغفلُ رعايَتها فأنْتَ عَنْ كل ما استرعيت مسؤول

إني لفي منزل ما زلت أعمرهُ على يقينٍ بأنّني عنْهُ منقولْ

لَمْ يُشغلِ الموْتُ عنَّا مُذْ أُعدّ لنا وكُلنا عنهُ باللذاتِ مشغولُ

لقد استهلّ الشّاعر هذه المقطوعة بنداء لكل إنسان، وهذا النّداء يحمل في طيّاته النّهي عن الغفلة،وعدم الانشغال باللّذات، لأننا على يقين بأننا سنرحل عن هذه الدّار إلى دار أفضل، تلك هي الدّار الآخرة، ومن روائع زهده ما قاله منذرا بالمشيب، وأن الإنسان عليه أن يكون مستعدا لداعي الموت، لأن الموت لا يفرق بين صغير وكبير، ولا صحيح وسقيم، حتى الطّبيب المداوي من الأمراض والعلل، فربما يموت الطبيب ويعيش المريض فيقول[2]:

نعى لك ظل الشباب المشيب ونَادتْكَ باسْمِ سِواكَ الخُطُوبْ

فَكُنْ مُستعدًّا لِداعي المَنُونِ فَكُلُّ الذي هُو آتٍ قَرِيبْ

وقبلك داوى الطّبيبُ المريضَ فَعاشَ المَريضُ ومَات الطبيبْ

---

1) المصدر نفسه، ص ٢٧٨-٢٧٩.

2) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: عيوب الأخبار، ج٢، ص٣٥٢.
وردت البيت الثاني: فكن مستعدا لريب المنون فإن الذي هو آت قريب

وفي الأبيات الآتية نراه شديد الإيحاء بالمشهد الجنائزي الذي يبدأ بمرض الموت وينتهي بانسحاب المشيّعين من حول القبر، وما يتبع ذلك من نسيان الناس لموتاهم وهذا المشهد الجنائزي حاضر في ذهن ابن الرومي وفي زهده فيقول:[1]

وكَأنَّ بالمْرءِ قد بيْـ ـكي عليْهِ أقـربُوهُ (م)

حَرَّفوه وجّهـوهُ مَدّوه غمّضـوهُ

ارْفعُوهُ غَسّـلوهُ كفّنوهُ حنّـطوهُ

فإذا ما لُفّ فـي الأ كْفانِ قالوا فاحْمِلـوهُ

أخرْجُوهُ فوق أعـوا دِ المَنايا شَيَّعـوهُ

فإذا صلّـوا عليـهِ قيلَ هاتُوا واقبـِروهُ

خلّفوهُ تحْتَ رمْـسٍ أوّقروهُ أثقـلوهُ

وَدّعوهُ فارقـوهُ أسْلموهُ خلـفوهُ

وانثنوا عَنْهُ وخَلّـوَ ه كَكأنْ لَمْ يعْرفـوهُ

نراه في هذه الكلمات المعبرة المليئة بالصّور الحيّة للمشهد الجنائزي ينعى صاحبه، يصور حضور المشيّعين، والإسراع في تغسيله وتكفينه، والكل يلتف من حوله يودعه، أقاربه وأصحابه، ثم يحمل على الأكتاف ليصلي عليه، وبعدها يدفن في قبره، فإكرام الميت دفنه، وتنزل جموع المشيعين تاركين الميت خلفهم، يتبادلون الأحاديث بينهم كأنهم لم يعرفوه من قبل.

1) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، ص٤٢٢.

" هذه المقطوعة تدل على اقتدار أبي العتاهية في التقاط المعاني البسيطة من جهة، وفي براعة إيقاعها من جهة أخرى، والتّركيز فيها ليس على الجانب الوعظيّ فحسب، بل على جانب الإيجاع بعقوبة الموت في الحياة وما يتبعها من نسيان النّاس لموتاهم، وأما الأساليب الوعظيّة، وأبيات التّأمل والحكمة ففي بقية القصيدة حيث تبلغ أبياتها ثلاثة وأربعين بيتاً"[١] جاءت القصيدة على مجزوء الرّمل ذي التّفعيلات القليلة وذلك لا يملّ القارئ أو السّامع من الإطالة، ثم التّرابط بين الأبيات والتّصوير الحيّ للمشهد.

الموت طالما وقف عنده الزّهاد واستشفوا منه العبرة، لأنه الجسر الذي يبلغهم الآخرة ويصلهم بها، وكثيراً ما ذكرهم المشيب بقربه ومشهده المريع، ينتظر النّاس فيه دورهم على الرّغم منهم.[٢]

فنجد أنّ أبا العتاهية تعرّض في موضوع الموت للمعاني الآتية: التّخويف والزجر القاسي، وهو مفرق الجماعات والأصحاب، وغفلة الناس عن الموت وهو قريب ولا مفر منه، وظهور الشّيب أشد نذير لقرب الأجل، والدّنيا دار شقاء وبلاء وعناء، وعدم الأمل في الدّنيا لأن الإنسان إذا أمسى فلا ينتظر الصّباح، وإذا أصبح فلا ينتظر المساء، والموت رحلة من الفناء إلى البقاء، ويبلغ التّرويع ماه المشهد الجنائزي، من إعلان الموت إلى النّزول عن المقابر ونسيان الميت وهي معاني

---

1) أبو الأنوار، محمد: الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية، ص ٢٦٣ – ٢٦٤.

2) بهجت، منجد مصطفى: الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، ص٤٤٦.

طرقها ابن الرومي جلها أو بعضها وهنا يكمن تقارب الرؤيـــة الـــذي أدى لتقـــارب اللغة.

لقد أكثر كلّ من أبي العتاهية، وابن الرّومي من المفردات الدّينية في شعرهما وخاصة موضوع الموت الذي قهر الله بـــه عبـــاده، يمـــوت الـــصالحون ويمـــوت الطّالحون، يموت الصّغير ويموت الكبير، والغني والفقير، حتى الأنبياء عليهم السّلام قد شربوا من كأس الموت ومرّوا بسكراته.

أما القيمة التّأليفية في أشعار ابن الرّومي فقد اشتهر صاحبها عند كثير مـــن الأدباء والمحدثين والقدماء على أنّه لا يهتم كثيراً باللفظ لأنه يصرف كلّ قواه الفنية لمعالجة المعنى وتقليبه على وجوهه الممكنة كلها كما يقول ابن رشيق حتى لا يبقى فيها مطمع لأحد، ولكن هذه الفكرة الّتي أخذت عن ابن الرّومي قد يكون فيها بعض المبالغة لأنّ المتتبع لأشعار ابن الرّومي لا يكاد يعثر فيها إلا فيما ندر على أنّه يهمل النّاحية الشّكلية أو البديعية من فنه الشّعري[1] ولعلّ أصدق مقياس لذلك هو أنّنا نجـــد الكلمات والجمل في شعر ابن الرّومي قد وضعت في أجواء سليمة تبرز فيها معـــالم حسنها وجمالها بل أنّه أحياناً كثيرة أراد أن يجاري ما أخذ يميل إليه عـــصره مـــن ولوع بمظاهر الاستعارات والمجاز إلا أنّ فشله في الحقيقة في هذه المجازات كـــان واضحاً لا يخفى كفشله في كلّ شيء أراد أن يصطنعه اصطناعاً وهنا تبدو بالفعـــل

1) أبو القاسم محمد كرو، عبدالله شريط(بدون تاريخ) شخصيات أدبية من المشرق والمغرب، منـــشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.ص ١١٣

مظاهر الغموض في شعره التي قد لا تدل على شيء ولكنها توهمه هو أنّها تعبر له عن إحساس غامض من أحاسيسه المعقدة المتداخلة.[١]

والخلاصة عن ابن الرّومي وقيمه الشّعرية أنّه امتاز في أشعاره بالتّرابط المنطقي الدّقيق بين أجزاء قصيدته ومعانيها والتّوفيق الّذي وصل إليه بين معانيه وألفاظه أمّا ميزته الأخيرة فهي حرارة نفسه وحيوية أشعاره.[٢]

فلقد أثر ابن الرّومي في مجرى تطور الشّعر العرب في أمرين:

الأول :أسلوبه السّهل الممتنع النّظم، المتمثل في النّثرية الّتي تجنح به أحيانا إلى الركّاكة.

والثاني:عنايته بالصّورة يعرضها واقعية ،أو تخيلية، وهو في الحالتين متأثر بطريقة الشرّاح والمفسرين من علماء المنطق والكلام واللّغة.

نجد أنَ ابن الرّومي في قصائده الزّهدية قد ابتعد عن التعقيد اللفظي فتجد كلماته سهلة ألفة لكن من الصّعب كتابة مثلها، ويطلق على هذا النوع السهل الممتنع، ونجد ذلك في أغلب قصائده مثل قوله:

وخلوُتَ في بيتِ البلى وخَلا بِك الملكان وحْدكْ

وسلاك أهلُك كلُهم ونسوا على الأيّام عهدكْ

يتمتعون بما جمعْـ ـتَ ولا يروْنَ عليه حَمْدَكْ

---

1) المصدر السابق.

2) المصدر السابق.

مُتمهَّدون وأنت تحـــــــ ـــتَ الرَّمس يرعى الدّودُ جلْدَكْ

قد سلّموكَ إلى الضّرربـــ ـــح ووسَّدوا بالتُّربِ خَـــدَّكْ[1]

فالأسلوب واضح جلي مباشر يلتقطه الذهن التقاطا من أول وهلة .

وفي مثل قوله:

نبني المعاقل والأعداءُ كا مئةٌ فينا بكلّ طرير الحدَّ مسنون

ونجمعُ المالّ نرجو أنْ يخلّدنا وقد أبى قبلنا تخليدَ قارون[2]

فقارون شخصية معروفة لدى النّاس جميعهم ومن السّهولة فهم هذا المعنى لـــدى كل النّاس .

فأسلوب ابن الرومي في زهده أقرب للنثر فأسلوب ابن الرّومي كـــذلك فـــي معظم شعره أقرب إلى أسلوب النّثر: فمن تطويل في القصائد يتعدى أحيانـــاً مئتـــي بيت ويتاخم أحياناً أخرى الثّلاث مئة، من غير كلام أو خور؛" ومن عناية بـــالطّرق المنطقية، واستخدام الروابط العقلية، وخروج عن السّنة الشّائعة بين نظام العرب في جعل البيت وحدة مستقلة، وقد أبقى ابن الرّومي البيت مستقلاً عماً سواه مـــن حيـــث الإعراب، أما من حيث المعنى فهو جزءُ من كل لا يتمّ إلا في أبيات متعددة.[3]

---

1) الديوان، ١٨٦٩/٥، ١٨٧٠

2) المصدر نفسه، ٢٤٦٥/٦.

3) حنا الفاخوري(١٩٩٥) تاريخ الأدب العربي، ط١. ص ٣١١

ولا جرم أنّ كثرة احتفال ابن الرّومي بالتّحليل قد أفقد شعره الشّيء الكثير من بلاغة المعنى الموزون ورونقه، وأنّ عدم اهتمامه للجمال اللفظي جعله يدخل على شعره بعض الحشو النّاقل، فغشيه الفتور أحياناً كثيرة، وخلا من الموسيقى، وكان أشبه بالنّثر الموزون. وأمّا ما حماه من الإسفاف والاضطراب، فاستقامة المعاني، وبهاء الوصف، وبراعة التّشخيص الاخاذة، واندفاق الحياةعن عاطفة خفاقة أبداً، لم تفقدها الشّيخوخه شيئاً من حيويتها الحادة، وعن منطق متلاحم يشيع فيها اضطرام الشّعور حرارة ودفئاً، مع غنّى باهر في الأساليب فلا تنفك تتنوع بين خطابية في الإرشاد والدّفاع والمدح، وغنائية في الوصف وتحليل النّفس ومواقف الحزن، وقصصية عمت القسم الأكبر من شعر ابن الرّومي، وحوارية أحياناً عندما يشخص الشّاعر المعاني، فإذا بقصائده إذ ذاك أشبه بمسرحيات مصغرة، تناقش فيها أشخاصا مجردة في مسرح النّفس والضّمير.[١]

هذا فضلاً عما لابن الرّومي من تحفٍ برئت من إهمال الصّناعة اللّفظية، واستوفي فيها الفنّ حظّه، في غير إسراف ولا نقصان، فهي من الرّوعة في أسمى مكان.[٢]

---

1) المصدر السابق.
2) المصدر السابق.

وأشهر الأساليب الدارجة في زهدياته :

١- الأساليب الإنشائية الطلبية :

نجد أن الأسلوب الإنشائي الأكثر استعمالا هو أسلوب الأمر وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر على أنّه أعلى منزلة ممن يخاطبه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا[١]، وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي ، للدّلالة على معان أخرى يحتملها لفظ الأمر ، وتستفاد من السّياق وقرائن الأحوال،ومن هذه المعاني الدّعاء والالتماس، والتّمني ،والنّصح، والإرشاد، والتّخيير، والإباحة،والتّعجيز،والتّسوية،والإهانة والتّحقير[٢] ومن ذلك قول ابن الرّومي:

دع اللّوم إنّ اللوم عونُ النوائبِ ولا تتجاوز فيه حد المعاتب

فما كلّ منْ حطَّ الرحال بمخفق ولا كلُّ منٍ من شدّ الرّحالَ بكاسِبِ[٣]

وقوله:

نبلُ الرّدي يقصدْنّ قصدّكْ فأحدَّ قبل الموت حدّك[٤]

فهنا يستخدم الشّاعر أسلوب الأمر من باب النّصح.

وكذلك أسلوب النهي وهو طلب الكف عن الفعل أسلوب يرتضيه ابن الرومي لأنه أسلوب يقتضيه الغرض الزهدي كثيرا ونادرا ما يستخدم غيرهذين الأسلوبين .

---

١) عبد العزيز عتيق(١٩٧٤م). علم المعاني،ص٨١. عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة ، بيروت

٢) المصدر نفسه، ص٨٣ –٨٨.

3) الديوان، ٢١٣/١.

4) المصدر نفسه، ١٨٦٩/٥ .

٢- الأسلوب الخبري :

خطاب ابن الرومي في زهدياته غالبا خطاب إخباري مباشر يخاطب فيه النّفس الإنسانية من أجل دعوتها لترك المعاصي والابتعاد عن الذنوب وذلك بإخبارها بأحوال الدنيا المتقلبة دون أن يوجه أمرا أو يقدم نصحا لأنه لم يكن ذا ورع يؤهله ليكون واعظا ومرشدا وناصحا فيكتفي بوصف وإخبار ومن ذلك إخباره عن نعيم الآخرة، وحنينه إلى الجنة، وبيَّن حياة الأولياء الصالحين فيها، إذ يقول:

قد تعالوا على أسـرةِ دُر لا بسين الحرير والأرجوانا
وعليهم تيجانُهم والأكاليـ ـلُ تُباهي بحُسنها التّيجانا
يتعاطَونها سُلافا شمـولاً في جنان مجاوراتِ جِنانا
ثم آبوا فاستقبلتهم حِسانُ من بنات النّعيم فُقْنَ الحِسانا
بوجوهٍ مثل المصابيح لا يعـ ـرفْنّ إلا الظّلال والأكنانا
فتلقينهم بأهلاً وسهلاً رافعاتِ إليهم الرّيحانا[1]

فهنا أسلوب خبري تقريري مباشر فيه إخبار عن نعيم الجنة وما أعده الله لأهلها من النعيم فلا تجد في هذه المقطوعة أي أسلوب طلبي فيه استنهاض وحث. ولكن هذا الإخبار والوصف الدقيق فيه الحث والاستنهاض للهمم لبلوغها ونجد أن الجمل الخبرية في شعره الزهدي أغزر من الجمل الإنشائية فهو في زهده مخبر عن

1) المصدر نفسه، ٦/٢٦٠٠.

تجارب حياة وليس واعظا تقيا يأمر وينهى ويستخدم أساليب الإنشاء كالنهي والاستفهام والأمر التي يقتصر فيها على مطالع النصوص لجلب الانتباه وشحذ الأسماع ولأن ابن الرومي لم يكن قريبا ممن حوله تغيب عن شعره الغيرية والاهتمام بشأن الآخر فيعمد لأساليب الإخبار أكثر من أساليب الأمر والنهي والاستفهام .

الخاتمة

لم يكن موضوع دراسة الزهد عند ابن الرومي بالموضوع السهل وذلك لندرة قصائده في هذا الباب وقلة مصادره ، يستنتج مما سبق أنَّ الزُهد لدى ابن الرومي كان قليل الحضور في ديوان ضخم ، ولكنه كان انعكاسا لنفسه وجسمه ومجتمعه .

لقد انتهجت في هذا البحث المنهج الوصفي ممهدا من خلال أهمية غرض الزهد إسلاميا وتراثيا ثم إلى حال شعر الزهد في عصر ابن الرومي وحاله شعرائه وصولا لابن الرومي وإضاءات من حياته وشعره وولوجا لشعره الزهدي من حيث دوافعه وفلسفته ومكانته في الديوان ولرؤيته الزهدية من خلال موضوعات زهده التي تنوعت وتعددت ، فعبّر بعضها عن خوفه النفسي من الموت والزُهد في الدنيا، وبعضها دار في موضوعات الزُهد في المال ، وآخر في الناس وغيرها في موضوعات الجنة والنار وأهوال القيامة ، ولم يكن زهده عن تدين وايمان كأبي العتاهية وبعضهم بعد التوبة كأبي نواس بل كان فلسفة حياة ونتاج مطارحة الحياة ومصارعة نوائبها وأحداثها فكان الزهد لديه ابن للنوبة الطارئة ونتاج التجربة المريرة .

بعد ذلك سلطنا الضوء على طريقة أدائه لهذه الرؤية من خلال شعره الزهد حيث تميّزت ألفاظ ابن الرومي باتّساعها ، وظهرت قدرته اللغوية في توليد المعاني والتلاعب بها ، والنّظم على مختلف بحور الشعر بمختلف القوافي وظهر جليا خفوت

التصوير في زهدياته وكذلك ظهر شغفه بالمحسنات البديعية وكذلك كانت لغته بسيطة سهلة وفيها نفس من نفس أبي العتاهية ويعتمد كثيرا على الأساليب الخبرية أكثر من الإنشائية في موضوعات زهده واعتمد على مجموعة من الأساليب التي ترتفع بشعر الزهد وتجعله فنّاً راقياً، ومن خلال توظيف معارف متنوعة، دينية وتاريخية وفلسفية فقد كان يمتلك ثقافة واسعة ، وذوقاً ناقداً يبدو واضحا من خلال زهدياته ، ولذلك نقول أن ابن الرومي لم يكن زاهدا بارعا ولكنه استطاع طرق هذا الغرض ولكنه لم يكن فنه المبرز فيه .

وأوصي من خلال هذه الدراسة أن يدرس غرض الزهد لدى شاعر كابن الرومي من خلال البعد النفسي والمجتمعي للشاعر في مجمل شعره ففي شعر الشكوى والتشاؤم والرثاء والحسد والعين والحقد والكراهية والانتقام بعد نفسي باعث للزهد وهنا تتداخل مع الزهد أغراض أخرى هي دوافع له ولكنها ليست منه وكذلك أوصي بدراسة أبيات الزهد المفرقة في الأغراض الاخرى من خلال تعاضدها مع بنية القصيدة وخدمتها للغرض الأساس للنص وكذلك من التوصيات من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على أثر الجسم والشكل في شعر أي شاعر فهو مفتاح لشخصيته وفلسفته فقبيح الشكل عادة ما يكون هجاء لاعتياده استياء واستهجان الناس من هيئته .

ولعل هذه الملامح في زهده مفاتيح لدراسات دقيقة في جوانب أخرى من حياته وشعره ، راجيا من الله أن يكون هذا الجهد مفتاحا لدراسات تكشف عن جوانب مضيئة لهذا الشاعر الظاهرة.

فهرس المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم .

٢. ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس بن جريح ، ت(٢٨٢هـ) ، الديوان، شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنا ، ٦ج ، منشورات دار مكتبة الهلال ، ١٩٩١م

٣. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق ، ت(٣٨٥هـ) الفهرست ، مكتبة الاستقامة ، القاهرة.

٤. ابن حنبل للإمام أحمد الزهد دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م

٥. ابن رشيق ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٩٨١، جزءان.

٦. ابن رشيق، أبو علي، الحسين، ت (٤٥٦هـ) ،العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، حققّه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢،٢ج، مطبعة السعادة ، مصر ،١٩٦٤ م

٧. ابن طباطبا، محمد بن أحمد، ت (٣٢٢هـ)، عيار الشعر، القاهرة ،١٩٥٦.

٨. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، تحقيق: دكتور عبد المجيد الترهيني، دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان، ج٣، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧.

٩. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، دار الثقافة، ط٤، ١٩٨٠.

١٠. ابن ماجه ،سنن تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، دون تاريخ.

١١. ابن منظور، تحقيق منصور صاغرجي، وأحمد حمامي، مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

١٢. أبو الأنوار، محمد: الشعر العباسي تطوره وقيمه الفنية.

١٣. أبو العتاهية، أبو اسحق، اسماعيل بن القاسم ١٣٠-٢١٠هـ أبو العتاهية: أشعاره وأخباره مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٥.

١٤. أبو القاسم محمد كرو، عبدالله شريط (بدون تاريخ) شخصيات أدبية من المشرق والمغرب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت

١٥. أبو زيد، سامي يوسف محمود (١٩٩٧). ابن الرومي: دراسة تحليلية لشعره، أطروحة دكتوراه (اختصاص) في اللغة العربية وآدابها، جامعة القديس يوسف، بيروت

١٦. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت، دار الثـــقافة، ط٤، ١٩٨١.

١٧. أرسطوطاليس الشعر.فن الشعر: ، مع الترجمة العربية، وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمة من اليونانية، وشرحه وحقــق نــصوصه: د. عبــد الرحمن بدوي، – ط٢ [بيروت، دار الثقافة،١٩٧٣]

١٨. إسماعيل ،عز الدين في الشعر العباسي : الرؤية والفن، المكتبة الاكاديميــة، القاهرة : ١٩٩٤

١٩. إسماعيل عز الدين ، الأدب وفنونه ، دراسة نقدية ، دار الفكر العربي

٢٠. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، ٢٨٤-٣٥٦ الأغاني: مطبعة التقدم، القاهرة : ١٩٠٥.

٢١. الأندلسي ،أبو حيان ، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، ٦٥٤-٧٤٥ هــ . البحر المحيط في التفسيرالقرآن الكريم ، الناشــر :دار الفكــر، بيــروت : ١٩٩٢.

٢٢. البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، حققه: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيــع، ط١، ج٧.

٢٣. البداينة ،خالد فرحان إرحيل شعر أبي العتاهية الزهدي: (القضايا والمؤتمرات)، ١٩٩٨)

٢٤. بهجت، منجد مصطفى: الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين.

٢٥. التبريزي ، مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

٢٦. الترمذي، محمد بن عيسى ، ٢٠-٢٧٩ هـ .سنن الترمذي دار طويق، الرياض : ٢٠١٠

٢٧. الجامع لأحكام القرآن القرطبي ، بعناية هشام سمير ، (١٥٧/٩) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

٢٨. جست، روفون ابن الرومي : حياته وشعره الناشر دَار الثقافة، بيروت١٩٦٣

٢٩. جيده ،عبد الحميد محمد ، الهجاء عند ابن الرومي ، منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م

٣٠. الحاج حسن، حسين، أعلام في الشعر العباسي المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت : ١٩٩٣

٣١. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري٣٢١-٤٠٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧. كتاب آخر سنة ١٩٩٠

٣٢. الحاوي ،إيليا سليم . ابن الرومي، فنه و نفسيته من خلال شعره: نقد تحليلي لنماذج هامة من شعر ابن الرومي، دار الكتاب اللبناني، بيروت : ١٩٥٩.

٣٣. الحديث في مسند الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ودار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.

٣٤. حسين عطوان، مقدمة القصيدة في العصر العباسي الثاني، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.

٣٥. حسين عطوان، مقدمة القصيدة في العصر العباسي الثاني، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.

٣٦. الحسين، قصي(٢٠٠٣). النقد الأدبي: عند العرب واليونان معالمهُ وإعلامهُ، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان.

٣٧. الحموي ،حجة ، خزانة الأدب، القاهرة، الطبعة العامرة، ١٢٩١هـ .

٣٨. الحوفي، أحمد المثل السائر، تحقيق ، القاهرة، مطبعة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٥٩-١٩٦٢.

٣٩. داوودي، صفوان عدنان مفردات ألفاظ القرآن، وهو بتحقيق ، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨م=١٩٩٧م.

٤٠. الدينوري،ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم، ٢١٣-٢٧٦هـ، عيون الأخبار، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر دار الكتب المصرية، القاهرة،.

٤١. ديوان الحطيئة، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٢،.

٤٢. الساريسي، د.عمر عبد الرحمن ، الشعر من العصر العباسي، ١٣٢-٦٥٦هـ أمانة عمان ،عمان ،٢٠٠٤ ،ط١

٤٣. سلام ،محمد زغلول (بدون تاريخ)تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، حتى القرن الرابع الهجري، معارف الاسكندرية، جامعة الاسكندرية، مصر.

٤٤. السمرة :محمود النقد الأدبي والإبداع في الشعر ، ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٧م.

٤٥. شلق ،علي ، ابن الّرومي في الصورة والوجود ، ط١ ، دار النشر للجامعيين، ١٩٦٠م.

٤٦. شوقي ،ضيف العصر الاسلامي/ تاريخ الأدب العربية، ، دار المعارف، القاهرة: ١٩٦.

٤٧. الصفدي صلاح الدين خليل ، الوافي بالوفيات ، دار إحياء التراث العربـــي، ٢٠٠٠ ، ط١

٤٨. الصفدي، راكان توفيق (١٩٩١).التطوير والتجديد في شعر ابـــن الرومـــي، جامعة دمشق، بحث أعد لنيل درجة الماجستير في الآداب.

٤٩. الطبري ،لمحمد بن جرير تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملـــوك): ، طبـــع دار المعارف، مصر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عشرة أجزاء، سلسلة ذخائر العرب ٣.

٥٠. عباس ،إحسان ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت، دار الثـــقافة، ط٤، ١٩٨١ .

٥١. عباس محمود العقاد، ابن الرومي: حياته من شعره، بيـــروت، دار الكتـــاب العربي، الطبعة السادسة، ١٩٦٧.

٥٢. عبد الباقي ، محمد فؤاد ،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٣. عتيق، عبد العزيز ، علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة ، بيـــروت، ١٩٧٤م.

٥٤. عيون الأخبار، لابن قتيبة، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

٥٥. الفاخوري ،حنا(تاريخ الأدب العربي.تـــاريخ الأدب العربـــي، دار طـــلاس، دمشق، ١٩٨٥.

٥٦. القاسم، محمد كرو، عبدالله شريط(بدون تاريخ) شخصيات أدبية من المشرق والمغرب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٥٧. كروتشه"، بندتو – المجمل في فلسفة الفـــن– " ترجمـــة -الـــدكتور "ســـامي الدروبي"القاهرة" ١٩٤٧.

٥٨. المازني ، إبراهيم عبد القادر حصاد الهـــشيم ، ط٧، المطبعـــة العـــصرية ، مصر، ١٩٦١م.

٥٩. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، ٢٠٤–٢٦١ هـــ .حيح مـــسلم، بـــشرح النووي المطبعة المصرية ومكتبها، القاهرة : ١٩٣٠.

٦٠. موسوعة المصطلح النقدي . تأليف ر. ل. بريت؛ يترجمها عـــن الانكليزيـــة عبد الواحد لؤلؤة بغداد وزارة الثقافة إيداع ١٩٧٩.

٦١. النحوي:،عدنان علي رضا الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميتـــه ، ط٣ ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، السعودية ، ١٩٩٤ م .

٦٢. النسائي، أحمد بن علي بن شعيب، ٢١٥–٣٠٣ .سنن النسائي، دار طويـــق، الرياض.

٦٣. النظرية الرومانتيكية في الشعر. سيرة أدبية. كولريدج. ترجمة الدكتور عبد الكريم حسان. منشورات دار المعارف بمصر ١٩٧١.

٦٤. النووي، محي الدين أبوزكريا يحيى بن شرف الحوراني، ٦٣١-٦٧٦ هـ رياض الصالحين ،مؤسسةالرسالة، بيروت : ١٩٧٩.

٦٥. النويهي، محمد،ثقافة الناقد الأدبي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٤٩.

٦٦. ونسنك، أ.ي.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (زهد) نشر ، دار الدعوة، اسطنبول، ١٩٨٦م.